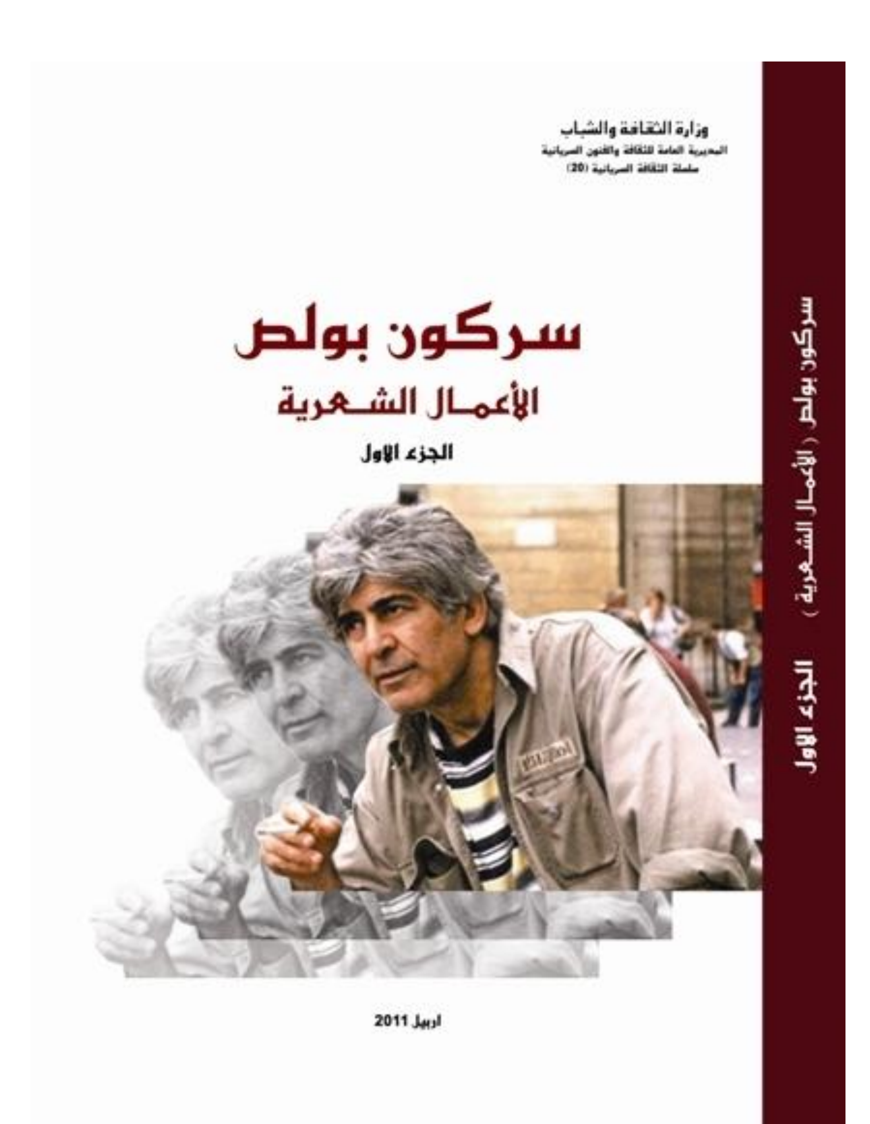


سركون بولص

الأعمال الشعرية

الجزء الأول

سركون بولص

الأعمال الشعرية

الجزء الاول

من منشورات المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية

عنكاوا 2011

اسم الكتـــــاب : الأعمال الشعرية جـ1

اسم المـؤلـــف : ســـركون بولــــص

تصميم الكتاب : ايشـو اويتـر ايشـو

تصميم الغلاف : منتصـر بويا تومـــا

الطبعـة الاولى : أربيــــــــل 2011

عدد النســـخ : 1000 نســــــخـة

رقـم الإيـــداع : 1165 لسنة 2011

في المديرية العامة للمكتبات العامة ـ اربيل

الوصول الى مدينة أُين

هناك رحلات

أصلُ الى وطني بعد ان عبرتُ

نهراً يهبط فيه المنجّمون بآلات فلكية صدئة

مفتشين عن النجوم

أو لا أصل الى وطني

بعد ان عبرت نهراً لا يهبط فيه احد

هناك رحلات

أعود منها ساهماً

نحيلاً كظلّ إبرة

ألتقي بالصباح وجهاً لوجه

كأنني تركتُ نفقاً ورائي قبل لحظة

يتصاعدُ البخار تحت يدي

من كوب القهوة الجميل

بصدعهِ الطويل الوحيد كجدار مَيْتمَ

ألتقي بفلاّح جُنّ في المجاعات

يشحذُ في مساء المدن الكبيرة

وأمرأة تسير على ضياء شعرها الابيض

بين الخرائب

أطلق سراحَ عينيّ وأسافر

وأتركُ انفتاحاتٍ غامضةً تأخذني

وبأبوةٍ

عارفة بأهدافي اكثر مني

تمنحني هداياها المخيفة

بيدين تنضحان عناية مطلقة

كمن يحملُ قطرةَ ماءٍ وحيدة عبر صحراء

واللمس ، ذخيرتي ، قادني وهداني

كقطار من النبضات

يسافر طويلاً حتى يلاقيني :

في نهاية كل كهف

شمعةُ تدعوني لأجلس الى مائدة

بكى عليها أجدادي وأقسموا وصاموا

وكلُّ صيحةٍ تنطلقُ من أيَة نافذةٍ بعيدة

توقظني من أعمق أحلامي فأتبعها

كالأعمى الذي يغزو الهواء بيديه

نحو أقطارٍ عدّوة

هُرِّبت اليها عيناه وطولب بالجزية

أسمعُ الريحَ بأظافري

وأعرف أين تختبئ عروسي

ألف ليلة وليلة

كان ذلك

عندما أبصرتُ رمزي المفضَّل

يهبط كالنسناس من راحة يدي

ويدلّني على أماكنَ مجهولة يتصاعد منها تنفُّسُ الأحياء

تبعتهُ وعيناايَ معصوبتان

بريش معرفتي القليلة

ويدايَ مقيّدتان بالحريّة وأسنانُها

تنغرز في رسغي والألم

يجعلني أتطوّح كالسكّير في أزقّة غريبة أسرارهُا لم تنجح

في مواساتي

واثباً في الهواء بحركات

المعذّبين الخرقاء

كأن طيورَ الأرض التي اجتمعتْ تحت صدري

تبدأ انتفاضها الموسميّ من الأعماق

وكان ذلك

عندما اكتشفوا عنقاء الشعراء بالصُّدفة

تختبىءُ في سراديبَ سريّة وتُشعلُ نفسها من حينٍ لحين

بكبريت الوقائع اليوميّة

باحتقار الدخول إلاّ اقتحاماً

من الأبواب المحصّنة

وعندما طاردوا الحياةَ والموتَ متعانقين

حتّى آخر صخرة تطلُّ على الهاوية

ولأنني طُردتُ عارياً من جنة النسيان

الى جنة الكلمة

حيث الكلابُ بضجَرٍ

تداعبُ الشمسَ بمخالبها الانسانيّة

سأمدحُ حتى الكلابَ قليلاً

وأُقسمُ ان الرموز

ليست أحذيةً مدربّةً على السّفَرِ

وانّ النوم

ليس السامريّ الصالح

يسوط حماره في أحلامي نحو مُدن الحرب

وان هذه المرأة الاسبانيّة التي تبكي من أجل إبن

لاتشبه كثيراً امرأةً

لها نفسُ الوجه في بيروت

وان الحشرات في كلّ مكان

تلبسُ نفس البدلة

ويحرسها البوليس بنفس الطاعة

والعصافيرُمقوسةً باعباء بشرية ثقيلة

حتى عندما نظنُ انها تغني

لتسلية العشّاق

ولأنني طاردتُ نفسيَ حتَى
حافَة اكثر افكاري خطورةً
وهناك خطر الانزلاق الدائم
فالحافة ليست في مكانها دائماً !
اقفُ بجانب نفسي ، مشجّعاً نفسي
على المضيّ ، والليلُ والنهار
توأمان سياميّان
يلعبان الشطرنج على صدري
وحتّى يحركّا بيدقاً واحداً
على النثر أن ينشب مخالبَهُ
في رقبة الشعر الهزيلة
وصراعهما سرّيٌّ
يمتد في الأزقّة حتى
يتّخذَ أبعاداً سياسيّة
تُعلّقُ منها أحزابُ المعارضة وهي تحتجّ
على عدم وجودها سوى في الموافقة
وجميعُ أسرار الأفق
هذا اليوم
لاتساوي رغيفاً بغداديّاً واحداً

وأجملُ امرأة في العالم

للأسف

تجعلني أبكي

لكنني أُقسمُ ان النّسْر

رجلُ ، رجل حقيقي الى درجة انه امرأة !

رجل عجوز ذو لحية وأحذية قديمة

يفرّقُ بعصاهُ العصور

كأنها مواكبٌ من الأطفال

ويمضي واجماً كأبي حين يبحث عنّي

في أزقّة بغداد

على ضوء النجوم التي ماتت

بمئاتِ ملايين السنين

قبل ان يصل نورُها الى الأرض

وهكذا التقطتُ خيط الرحلة من التراب بأسناني

واستغرقَ وصولي الى بيتي ألفَ ليلةٍ

وليلة .

الضيف البعيد

طيلة سنوات ، تجرّني اليقظةُ من ثيابي

الى أماكن لم يرها أحد

الا نائماً او مخموراً

اكتبُ باليد التي هجرتني

ولكي أرى هذا المصباح الذي وجدته

مليئاً بالرمل في احدى أصعب رحلاتي

يضيء حتى مرةً واحدة

عليّ ان أبني بلدة جديدة

أعرفُ ان عليّ ان أموت حيث ولدت

لكن قبل ذلك دعوني أكمل ولادتي

بالفأس الراحلةِ خلف ثعبان

بالغراب الذي يجبرني

أن اطرده من الشجرة بالحجارة

أتيتُ من بلدٍ بعيد

لأرى راقصةَ الرمال

في فُصّ الخاتَم السحري

ترقصُ لي وحدي مرةً على الأقل

وهناك

الحانات التي تشربُ فيها من جمجمة جارك
وهناكَ الجسور التي بنيت
لتجذب المسافرين الأغبياء الى داخل المدينة
التي أصيب أهلها كلّهم بالطاعون
هناك المرأةُ في داخل المرأة
كالمشط الخبيء في ظهر سمكة
والطريق التي عبّدها عبيدٌ اسطوريون
منذ ألف سنةٍ لتسيرَ عليها الى حتفك

هناك ألفُ سنةٍ في جيبي
ترفض ان تؤرّخ ولكن لا احد يراني اليوم
الا اذا أغمض عينيه ونسيني
اليوم
تخرج كل علّة
ومعلولها على الأكتاف
اليوم تتبع النساء رجالهنّ الى المنفى
واذا كنتُ قد بعثت بأوهامي في الطليعة
لتستكشف مدينتكم
فلأنني
حين حاولتُ ان أطلّ على الهاوية
ركضَ الجميعُ الى خارج الأسوار

وسبقني بعضهم الى مصيري

رأيتُ ابي البارحة

وفي أنابيب كتفيه كالناي

مخلوقٌ اسطوريّ يُجبر ُ الريحَ على ان تعترف

لاتثق إلاّ بالحجارة

أنا بين يديك

أنا من باع حياته ليشتري عينين وفيّتين

أتعبني ما عرفتُ مقدَّما ً

وجسدي لم يعد يتبعني .

لن أنتظر أكثر

لن أنتظر أكثر والا انقرضت هذه اللحظة باشراقتها الواحدة.
او على الأقل ضاعت مني . ضاعت مني كالقطار الذي كان
سيحملني الى قرية ، ولا أرى منه الا ريشةً من بخارٍ تحومُ حول
ذراعي ، ومنها ، حقيبةٌ تتدلّى بثقل أحلامي ؛ الصمتُ الطويل
أقنعني

انني شجرة
تبزغُ في أغصانها أقمارُ الصبر

وأريد ان أعيش كل شيء ثانيةً :
ميلادُ طفلة في سرداب . حفنةُ البارود التي يكمن فيها مصيرُ
جدار. مطبعة القلب السريّة . درّاجة بطيئة يخوض بها عاملٌ
مذبحةَ الغسق نحو طبقٍ من الحساء ، هناك ، وراء جدار من
الأيدي النحيلة ، وراء طفولتي .

وللذكرى أيضاً : كنت ماهراً في رمي الحجارة الى سقوفٍ
مستحيلة .

كانت لي عصابة من الأطفال . سبحتُ في دجلة مراراً وفي
الفرات. و قابلت الحرية على عربة ، بوجهها الذي لأرملةٍ من
الغبار ، في طريقها الى معسكرات صغيرة لاتملك حتى شمعةً،
تستثمرُ صرَعَ الليل.

عن طريق مجهولة لا يذكرها أحد ، وصلتُ الى غابة من لحى
أجدادي تخفق كملابس غرقى في مغسلة النسيم. رأيت
خيولهم غارقةً في لعاب الحكمة تتأمل الحجارةَ أياماً ، حيث
بدأت طفولتي تختفي بسرعة.

الصباح سلاحٌ قويّ في يد الجميع . والمأدبة :
امرأةٌ حبلى الى الأبد .
والبضاعة الوحيدة التي تشبه الذهب هي الطريق .

اعترف بخطايا معقّدة وطويلة لا أذكر من اقترفها ، لماذا . أريد
ان اعترف أيضاً ، انني أنا الذي سرقتُ مسامير النجّار
وتسلّقت بيضة الأفق في عام 1963 ، بأقماره المتكررة ، بتقويمه
الملفّق ، لأسباب غامضة لم تعد تحيّرني .
اغتصبتُ العزلة كأنها عذراء شاردة في مدينة مقصوفة تتدلّى

أبوابها الى الوديان . وعرفتُ ، لوهلة ، كيف يفكّر الجندي .

كنت أركب الشارع أيضاً ، محمولاً على موجة المواصلات بين الجميع ولا أحد .

حتى تعلّمتُ أسرارَ الحفاة القديمة ، وكانت هذه المدن اليتيمة كلّها بانتظار أقدامي .

في تلك الأيام

في تلك الأيام ، وهم يحملون العاريات على المحفّات ، كانوا
يجرفون العبيدَ بالشِباك من الأنهار . ليلاً ، وتحت غطاء من
الأسرار ، عرفوا الجماعات الهاربة في لفاع الطاعة ، تحت يدٍ لا
تسقط منها كأس الرمل الاّ غصباً ، الاّ وهي مبتورة .

تطفو على المتاريس التي جفّ عليها الدم ، ومن العنف ، من
الصبر الطويل كصفّ من العبيد ، هذه الحاجة التي تطفر بوثبةٍ
واحدة الى داخل الاناء المليء بنجوم مزيّفة .
هذه الحاجة
كجوادٍ مسْرَج منذ الصباح يضرب بحوافره جبهتي ، وعرفُه
متوتر كالمشط في نسيم سرّي يأتي من مكانٍ بعيد :

مسقط رأسي الذي وثبتُ منه كالحَمل الى قبضة العالم حيث
الآلهة كالمهرّبين تتهامسُ خلف ستار الحانة .

هذه هي

هذه هي الأرض المحرمة
حيثُ يُفصَل الأحياءُ عن الموتى
هذا هو السرٌّ الذي يفتح أبواباً
بحفيف ثيابه العابرة
وكالأسطورة التي ضربت بجبينها
أرضيّةَ الواقع
يتكسّر التاريخ في موجة مدلهمّة
على سدّةٍ طويلة من ركَب الشعوب

والأسوأ من ذلك
ان المؤرخين اختفوا في العاصفة

وبينما كان مصيرنا يتنقل من واحةٍ الى واحة
في هودجٍ يحمله عبيدُ الصٌّدفة
وقع ذات مساءٍ في الكمين

خرج الحلم ليقطع رأس الواقع أخيراً

بضربةٍ

من فرط ما استُظْهرت في الأعماق

كان عليها ان تتجسد كاملةً

فالرحلة في بدايتها

والخمرةُ قويّةٌ.

قصيدة إجرح الهواء

إجْرحِ الهواء عانقْ جسَدَ الموسيقى

نمْ في خندق الكلمة

هناك نبضةٌ في داخل النبضة

ونبضةٌ اخرى في داخل النبضة الثانية

أحذيتي تحلمُ بالطريق

وأنا في نومي تركتُ جلدي

خرجتُ الى العراء نمتُ في بلدةٍ نهريّة مع امرأة

صاحتْ بي في منتصف الليل : ماذا فعلتَ ياسركون ؟

يداك ! في كلّ منهما سمكةُ حيّة

كنتُ قد نمتُ

وثدياها في يديّ

الساعة الثالثة

الساعة الثالثة صباحا ً ، ساعة ُ القصيدة المنتظَرة .
اكتُب هذه القصيدة على ظهر أيامي .

حين احترق كليا ً ، يجرفني تعب عظيم نحو الأرض
التي تنتظرني مثل كفّ تنتظر قطعة النقود المقذوفة في
الهواء ، منذ عدّة عواصف .

دون خارطة ، دون ان ينتظرني أحد حيث أذهب ،
ولا أحد ينتظر عودتي . دمائي العمودية وحدها تذكّرني
بأنهار وطني ، وفي كل بلدة عيناي الوفيّتان (أمتعتي
الوحيدة) وحدهما .

وها أنا استيقظ مرة ثانية غريبا ً في جسدي ، كرجل ٍ
يستيقظ فجأة في قارب نجْدة ، بعيدا ً عن اليابسة .

جريمة مغرَمة بالحدوث

لم أعد أعرفْ

أيّ نور غريب النوايا

هذا الذي يسبح بين أصابعي ، كلما تعانقتْ

هذا الذي يسبح في اتجاهاتٍ حائرة

في رحلاتٍ تسجّلها الحجارة

كلُّ رحلة مؤلفةٌ من خطىً

مسروقة

وتحتاجُ الى كل خطوةٍ بالتساوي

وبراهيني من الغموض

بحيث

قد أكون بسهولة

أيَّ مسافرٍ عاد ، خفيةً ، الى أرضه

ليغيّر ما رآه الى الأبد

هذه الجدران خياليّة

لكن الكلاب التي تحرسُ أحلامَ التماثيل

لاتعرف ذلك

عندما لايسمعها احد

أين تذهب الأصوات ؟ أين تذهب الأصوات

عندما لايسمعها احد ؟

المسافة الوسطى تستجديني لأقتلها

ليلاً ، وعلى ضوء سكين

تستجديني لأقتل :

بين ماذا

والجواب الذي يأتي على الفور

من لا مكان .

بين الواحد والآخر :

نقطةً

يشرب فيها النبعُ نفسَهُ

وتتجاهلُ البندقيةُ أهدافَها

عرِّف المجهولَ ، أيضاً ، بهذه الاضافة :

لقد فتحنا القناة المؤدية الى الاغوار

والجنّة ، هذه الليلة ، على بعد خطوة

الجنّة . هذه الليلة .

عندما استيقظ

عندما افتح نافذتي في الصباح

أجدُ نفسي مطلاً على افريقيا .

دلتا

يتّخذ في كلّ مكان

جميعَ الأشكال إلاّ شكله الحقيقي

يسيرُ متظاهراً بأنّه غيمةٌ من التجاعيد

تصعد من فوّهة بركانٍ في الصباح

أو أنه

شوكةُ أكلْ

تنغرز عموديّاً في مائدة العالم

أو علامة استفهام طافية الى الأبد

فوق كرة الأرض متوازنةً بفعل معجزة

كنصلْ ملتوٍ أو كوبرا تصليّ

لكنه ينشغلُ في الاتجاهات الأربعة ، في نوعٍ من

المحاق

لاترى فيه إلا القطط

والعميانُ بالولادة

ويطلق النار في أحلامه على مسلة حمورابي

التي سيُطيعُ قوانينها عندما يستيقظ في الصباح

ولا يصلُ المركز (وهو لايريد ان يصل بسرعة) إلاّ
اذا قرَر نهائيّاً أن

يزوّج الجلد بالسكّين (1

يزوج السكين بالمرآة (2

يزوج المرآة بالعين (3

يزوج العين بالغيمة (4

يزوج الغيمة بالفوهة (5

يزوج الفوهة بالسهم (6

يزوج السهم بالبرج (7

يزوج البرج بالولادة (8

يزوج الولادة بالخليّة (9

يزوج الخليّة بالرصاصة (10

يزوج الرصاصة بالزناد (11

يزوج الزناد باليد (12

في نهاية 12 شهراً سيتحوّل دماغه الى قبضة
حين يعصرُ بها العالم ، ستجري من بين أصابعها حقيقةٌ
مزدوجة الأصل كنهرٍ له دلتا كاملة .

خرائب

اتبع امرأة

الى داخل بيت مبني

على شكل رصاصة ، يدي اليسرى

مقيّدةٌ بسلسلة

والبحرُ من اليمين يجذب ردن قميصي

كلاجئ جُنّ يتسوّل في بلدةٍ

دُمّرت بالقنابل والدبابات وهناك رجلٌ

يحاول بالقوة ان يحشر أطفاله نصف الموتى من الجوع

في قفصي الصدريّ تحت ابطيّ وبين اقدامي وفي كهوف

أحلامي

يظهر امامي حتى عندما أضيّعُ طريقي

اعطيهِ سيجارةً وعلبة ثقاب

فيأخذ الإثنين بلهفة

حين يبتعدُ عني

ذاهباً ليحرق نفسه في ساحة مزدحمة

تظهر المرأة من البيت وثدياها المترهّلان بالولادة

ينزفان الدم من حلمتيهما على الحجارة

وفي داخلي تبدأ عيون أطفالها بالاحتراق وتجبرني

بسطوعها الغريب الذي آلفته على ان أبدأ بالسير وأنا أتمتم

بأغنيةٍ محطّمة ، أهذي عن طريقٍ كانت تنهض في الماضي

لمقدمي وأتبعُ الأبَ المجنون حيثما يذهب .

النجّار

يحاولُ الغزاةُ من جديد

والضحايا والأنوار

والرحمة والحروبُ الطويلة

وأنيابُ الملوك الجدد وشحّاذون بلا عدد

فقواءٌ بعدد نجوم الكون

وشعراء فقدوا رؤوسهم من المحبّة

تحاول الموسيقى

ان تجرف الصمتَ بشفتيها

والنهرُ ان يجرف في طريقه البلدة

والديانات ان تسلخ جلدها الليليّ

بعيون مغمضة

وعندما لا ينظر اليها أحد

تحاول الأبواب

ان تهرّبَ مفاتيح الفقراء

الى صاحب الملك ، الى صندوقِ أمين الريح

آنذاك ينتصبُ ثعبانٌ وحيد

في وسط الصحراء وقد جاءَ الليل

ويرى النجّار

إطارَ النافذة يحلّقُ وحده في متاهة يديهِ

تستيقظ الحياةُ عند قاعدة النهر

وقد نسيتْ ان تصلّي وولدتْ من الصّدْمة

تقرّرُ الأرض بالقرعة

ان تهاجم قلبها ، حيث أتحصّن

وحولي جميع أولادي يتشبّثون بحزامي .

آلام بودلير وصلت

وصلتُ الى الحد .

في الأصل كنت راعياً يفترس أرخبيلا ً ممزقا ً

من الأرواح .

في الماضي الذي لايمكن صيده

اخرجُ اليه فيهرب :

غزالةٌ تأكل الملحَ على بابي.

أيّ ملحٍ بقيَ لي أيها الماضي ؟

جُننتُ من الافلاس والمحبة .

وذات ليلة تحوّل افلاسي الى طير

ومحبّتي الى جمرة.

هربَ الطير ، بقيت الجمرة .

في الجمرة دخلتُ أخيرا ً .

نزلتُ الى احشائها وحفرتُ جمالها .

أيقنت من عزلتها وأنا أدخل وأتعثر بغيمة غضبي.

لأن عزلتي كانت قويّة ً جداً.

ودخلت .

الجمرة ُ في اليد

في نفس الوقت هي في اليد وأنا فيها .

رجلٌ يحمل جمرة ً في يده تحتوي رجلا ً يحمل جمرة ً

في يده.

لن أخرج.

لن يخرج الرجل .

ماذا أفعل بحياتي ؟

هناك باخرة ضائعة ترعى بين احشائي .

وأصادف ذات يوم ملابس بودلير الداخلية في

طريقي .

كيف وصلتْ الى بيووت.

آلامُ بودلير وصلت عن طريق البحر .

الأعشابُ لا تمنع ان تطفو اليد قليلاً .

يدٌ مريضة تهربُ.

الجمرةُ فيها .

قالوا لي مادمتَ قد جُننتَ من الافلاس والمحبة

فأنتَ قد جننتَ من الافلاس والمحبّة !

قالوا لي اترك الجمرة .

وفي غرفتي ازدحمت نصائحُ ذاتُ قاماتٍ طويلة .

وخرجتُ من غرفتي الى غرفة الجمرة .

نزلتُ ثانيةً .

كانت رحلةً طويلة .

رحلةً طويلةً كانت لا يعرف فيها أحدٌ أحداً .

لا يشربُ أحدٌ غير أحشاء صديقه المخلص .

لايطيرُ أحدٌ إلاّ في امرأةٍ .

النومُ في جمرةٍ واحدة .

ليلُ الجميع واحدٌ .

نمتُ طويلاً في سفُن الضعف .

قلت قودوني الى الحرب لأشفى ورأيتُ جمرتي .

قلت قودوني الى الحرب لأشفى ورأيت جمرتي تنتظر .

الغزالة تأكل الملح على بابي .

أيها الماضي أيها الماضي

ماذا فعلتَ بنفسك ايها الماضي ؟

وذات ليلة تحوّل افلاسي الى طير

ومحبتي الى جمرة .

حلّق الطير وحده على الجمرة .

بقي الطير ينظر الى الجمرة حتى انطفأت الجمرة .

أيها الماضي أيها الماضي ماذا فعلتَ بحياتي ؟

(شتاء 1969)

الى ربّة الظروف العارية سيدوري ، من مسافر

أنتِ

هذه الغنيمة التي عدتُ بها

من أسفاري المتقطـَعة

وَثـَني المسروق من غابة البرابرة

شَعرك خيمة سأنامُ فيها ليلةً

أُصغي على شطآن وصولي الى الأيام

الى أيّامٍ معيَّنة

بعضُها

بتردّد

يحتويني

حبُّنا الخاطف سيكون الشرارة

عندما تلدغ القلبَ الصغير التائه بين القضبان

في هيكل العالم الشاهق:

منجمٌ

لا ينقصهُ الذهَب..

لكن هذا مجرّدُ أملٍ

وليس نبوءة

أنتِ صاحبةُ الحانة سيدوري

تحفظين أحلامي عن ظهر قلب

تلوّحين ، بين ساقيك، بطُعْم لذاتك المستحيلة

وحيث كلّ زهرةٍ

تأكلُ نفسها

تبحثين بوحوشك حتى الموت عن مأدبة

تصيدين مسافرك المختار

بصنّارة أعراسك الشبقة في الظلام

بعينيّ ذئبٍ

كان ملاكاً في العصور السحيقة

شعركِ الذي هربَ وطفا

على ثقوب ناي

تستيقظ الرغبةُ في ظلّه الآن

محجوزةً للفتك ، مخالبُها الخمسة

جيوشُها المائلة في الظلّ

فقدتْ صبرها

محجوزةٍ ٌ للمضيّ بعيداً

لكنها في النهاية

لا تسيل الا ّ الى ماضيها

في القبلة التي اندثرتْ

في حيرة القبلة

وبأشدّ ما يكونُ الرفق

بأخفّ ما تكون الجريمة الهائمة

هائمةً

أحملكِ مطويّةً كرسالةٍ الى وطني

لتعصفي في أبوابه حتى الصباح

قصيدة كلّ عشبة

كل عشبة ظهرت امام قدميك

عاشت لتجمع خطواتك في قلبها كالكنز

وأنت في طريقك الى هذا اللقاء

في آخر زنزانات الأبجدية

هنا ينتهي العالم المعروف

يتسلّقُ نهرٌ ضفّتيه

تجوعُ جوعَ الحيتان

جوعَ المنارات الى سفن

لكن غير مختار

وتجوع باختيارك أحياناً

كأن الشعب بأسره يطالب في أحشائك برغيف

تمشي وأنت حافٍ في الحقيقة

في صحراء تخترع ظلالها بالصبر ، برجْمٍ طويل

في مملكةٍ صيغت من ظلّ رصاصة

الأغاني لا تريد ان تترك الأفواه

ان لم تحطّم الأسنان

آخر الينابيع يخنقهُ الرمل

الكلُّ لا يذهبُ الى الواحد ، الصرخةُ تضيع

انها شجرة الخوف تمشّط أوراقها الى خلف

قبل ان تستقبل ذكرَيات الريح

والجسدُ أينما كان

يحمل ينابيعه كالسلالم الى أيّةِ جبهة

سندانا ً وفيّا ً يغفرُ آثامَ المطرقة .

قصيدة قبل ان يزيح البطل

قبل ان يُزيح البطلُ بيديهِ

ستارةً النوم الحجريّة بين فخذي الأميرة

يأمرني بأن استعمل الأدلة

على هيئة مركب

أجذفُ فيه بين صخور ملتهبة

يعبرُ تحت ستارة الطقس كعالمٍ مفقودٍ ، كليلة

الحروفُ أولاً

أعداءٌ ملتحون يحاربونَ بأسلحةٍ بدائيّة

وأفخاخهم نُصبت كيفما اتفق وبسرعة

كقبور الفقراء الموزّعة بانتظامٍ على طريقي

وراء نظارةٍ من المسافات السحيقة

عيونهم لا تعرفني

وجوههم أسمالٌ تاريخيّة ملطّخةٌ بذكرى

ينتظر فيها نصري المحقَّق كفرَج الحسناء النائمة

لا يسمح باللذة الا في نهاية الأسطورة

الكلمة ستعرفني خلسةً

كامرأةٍ ضاجعتها مرّةً ذات مساء مليء بالمعيّدين .

امرأة في ميناء (هامبورغ)

ظهرها العاري مقلّم بأضواء النيون كسطح سفينة تبحرُ ، خرافيّةً في شمس الفجر . استيقظتْ قبلي ، في مدينة حاولتُ ان أتذكر اسمها ، موقعها الجغرافي . السفينة تقف في النافذة . والنسيم في شعرها مشوَّك بالأصوات الآتية والحرة في خارج الفندق . فمها الآن مطليٌّ كأيقونة ، وكان دليلاً في ظلام البارحة. يحمل معرفةً ثقيلة وفتّاكة ، كعطر يصعد من الأرض مع عرق الأحياء . ثم جاءت عائدةً ، لتجلس على السرير وتدخّن بيد ، ممشّطة شعرها باليد الثانية . امتدت يدي الى الشعر الكثيف الذي أيقظه النسيمُ لحظةً ، بينما تظاهرتُ بأنني نائم .

ثم قرّرتُ ان

اسحب يدي اخيراً ، وان أنامَ بصدقٍ هذه المرة .

موسيقى

استيقظتُ بعيداً عن البيت ، ماشياً وحدي في موكب . الموسيقى تأتي من مقدمة بعيدة لا أحد يدري الى أية مسافة تمتد . في يدي عصا راعٍ ، أو حجر ربما : للهجوم على نافذة ، لمطاردة كلب .

ثم انحرف الموكب المؤلف منيّ الى اليسار ، ورأيت بناية تنتظر بتوتر . الموسيقى الحماسية التي كانت تفيض من بابها ، في سيل طويل حيّ من الأنفاس المؤرقة ، دخلت مرحلة الايجاز ، صارت تعدّ نغماتها على أصابع اليد الواحدة . ثم طوى السلّم الموسيقي نفسه. (عازفٌ يتسلل بحقيبته من باب خلفي . الى بيت آخر ؟) من الباب الخلفي ، عازف يتسلّل بخفة وفي يده حقيبة. لا نافذة ، لا كلب .

تحكم المصادفات

تحكم المصادفات ولمدة طويلة

هذا السيلَ المتقطـَع من الاكتشافات :

الينابيعُ مهدَّدةٌ بالجفاف

وتسيلُ مع ذلك بمعجزة

أطرافُ المرأة النائمة بجانبي

تتحرّك من وقت الى وقت

وكأنها استقلّت عن نظام ما

لكنّ الايقاع في نفس الوقت

يتبعُ طريقَ الشكوك الابدية ، كنافذةٍ مفتوحة

تنزل منها الحياةُ الى الشارع المزدحم

على حبال سرّيّةٍ من صدى

ومثلَ من يهربُ من حريقٍ

تجري بشعرها الوحشيّ في كل الجهات

كامرأةٍ ترمّلتْ

هذه اليد مثلاً

كان غيري سيستخدمها في الصلاة

أو القتل او التحية

هذه القدم : في الهرولةِ نحو قريةٍ مجهولة

لن يطبعها على الخارطة في نهاية المطاف

الا لهاثُ الحاضر المتسارع يركضُ في مكانه طعنةً

بعد طعنة

حتى الشوط الاخير

الى آخر كلمةٍ في معنىً ما

ليجدَ الكأس التي لن يشربَ منها أحد .

الجريح

والآن تمتلىءُ اليدانِ بالثلج . في رسغيَّ تستيقظ ُ ذكرياتُ
مجدّفينَ عميان يُبْحرون بلا بوصلةٍ الى المجهول . والسماء
بأفقها المطعون تصغر ، حتى تتّخذ شكلَ إبرة . لكن الفتق يتّسع
باستمرار . الجرحُ يسخر من الضماد مقدّماً .

أعرفُ ان قامةً تقف في ساحة من الارتعاشات ، تمسّد لأيام
كاملةٍ ، ومثلَ اكتشافٍ ، وعدَ لقاءٍ واحدٍ يتمُّ ربّما .

أعرفُ ان الشمس غداً ، ستأتي مسحورةً بالنوافذ ، وتُعيد اليّ
حصّتي من الذهب .

صباح سحري

هاجر بعيداً عن نفسه وحطّ قرب شجرة . كان كلبٌ يقبع على ضفّة نهر ، ورجلان يسيران تحت جبل . ومن البعيد ، مرآةٌ تعكس الشمس كانت تتحرك بمرونة في داخل كهف . أدار الكلب وجهه السحري الى اليابسة ، وعلى الفور استدار الرجلان وأخذا يسيران نحوه . وسكنت حركة المرآة .

أخذ الزمن يتثاقل تدريجياً حتى انهار ، كاطار سيّارة منسوفة في طريقي ، كنبيل مفلس يتمرّغ في قدميّ دائن .

ولاّعـة

أجرّب الولاعة الميّتة .

انه الظلام

وكلّ ما أريده من العالم

في هذه اللحظة

ثقابٌ واحد

واحد!

لا اثنين

لكنّ الشعلة تحشرج باقتضاب

وآخرُ أنفاسها، كالتاريخ ، لا ينجح الاّ

في تسويد الحواف .

وهذا ما يحدثُ فعلاً .

من يعرف

كيف يفكّر الله ؟

أريد ان أقضي

الصباحَ التالي اذن

كأنه دينارٌ جديد

يدفعني الى التسكّع في أماكنَ مشبوهة

الى التسلّل من لحظة الى أخرى

كموجة من المتآمرين

تلبط جدرانَ الممرّات السرية

بألسنة الفوانيس

حتى أجدَكِ في أحدها وجهاً لوجه

مخلوقاً من الموسيقى يدعوني الى العزف

طيلةَ ليلةٍ كاملة .

مَهْرب

لا مَهْرب .

أفتحُ زاويةً لابتداءٍ جديد .

مرثاةٌ واحدةٌ : هذا

ما تطلبه الأشجار

بألسنةٍ متخاذلةٍ من بستانٍ يختفي

مرثاةٌ لشابّةٍ عابرة

لوجهٍ يكشفُ عن نفسه النّقاب

فاذا هو ألفُ ليلةٍ وليلة

لرغبةٍ كبيرةٍ

أقنعها الليلُ بالسيلانَ

ولكن بقدَريّة السوابق (...)

غبارٌ مقبل تهتز له الأوراق .

ولكن لا مَهْرب .

الرغبةُ ثانيةً

تفتحُ للوحوشِ في عُرْيها خميلة

بلمسةٍ واحدة كنتِ تقهرينني

بلمسةٍ واحدة كنتِ تقهرينني
وأنا طاغيةٌ صارمٌ أصمّ لا يسمع أحداً
وهمسة واحدة منكِ ، تكفي
لأجد الواحة الوحيدةَ في صحرائي
دونَ أن يُدهشني وصولي

تختبئين وراء ستارة سريعةٍ من الأمواج
مركبي الطائشُ وحدَهُ أسيرُها
لا يصغي الى خفَر السواحل يُنذرونه بالطوارئ
لا يفهم مكبّرات الصوت
ولكنّ الريح
تحملهُ في النهاية إلى ثغور آسيا
حيث النساءُ ينهضن موحلاتٍ بين قوارب الصيد
تحت فوانيسَ مطفأةٍ

في الوديان التي وصلتُ اليها
بوثبةٍ عمياء كوثبة القافزِ بالزانةِ على هاويةٍ
أخوضُ نومكِ البعيدَ حتى جبيني وأصعدُ ثانيةً

أصعدُ ثانيةً من وراء الندم

الى شفتين تتجمّعُ عليهما بضعُ قُبلاتٍ

مستَحَقَّةَ الدفع ، بانتظاري .

في هذا المكان

يقذفُ الرجلُ دروبَه الطويلةَ في المرأة

يملأها باكياً بالملح

في هذا المكان

تحلم المرأة بأجنّةٍ مفقودة

توقظها بالبكاء الخافت في الكهوف

تحلبُ قلبَ الرجلِ من حروبه الطويلة

وعلى فتحاتها حيث النشوةُ تتجمّد

كنغمة مستحيلة تطفو بصمتها على ثقوب ناي

تسيلُ لذتُها المريرةُ النكهة

من وقتٍ لوقت

على يديّ الحجريّتين

عريُها صاريةٌ من الصرخات الضعيفة

أستيقظ عليها مربوطاً بالسلاسل

وليس الاّ العالم الذي خاطته يدان من الهواء

يرقص كالدمية على الأمواج من حولي

مؤشراً الي ، مؤشراً ..

انه يقول

بلغة الاشارات التي يفهمها الصمّ :

لماذا اخلفتَ مواعيدي ؟

مرحلة سباتيّة مصحوبة بأضواء

كانوا بانتظارك : الأيدي المشْعرة ، البراكينُ المحمولة في الأيدي .
والحجارة في الأفواه .

صنّارة ٌ في كل شفة سفلى ، والخيط يمتدّ الى ثقب مجهول في يد
مجهولة لا تسكن الأرض .

الفراشات المسحوقة تحت مطارق الأبواب تطير غبارا ً ، لكنها
تصل .

في حلزون الليل ، بأنواره كجراحة ٍ زرقاء ، يخيط الخيّاطُ فجرا ً
لولبيّا ً بإبرة ٍ لا يراها في مرآة .

والحبرُ ينتظر ، حالما ً ، خلف سدّة ٍ مهدّمة ليفيضَ ، أعجوبة ً ، على
أحذية الشاعر المثقوبة .

في مسقط رأسه حيث حجرٌ يضيءُ كجبهة ِ نملة ، يسقط رأسهُ
مرّة ً في اليوم .

تبني العودة ُ قبوها بشاقول الفرار . تجدُ الصرخة ُ نفسها
وحيدة . إنهُ يعودُ مِراراً الى نفس المكان .

طريق الى كلمة

حين تصل الى الجذور ، ستختبيء منك لأنها تخاف . كن حيواناً
هارباً الى المواسم ، قلبَهُ الذي يغنّي لعشبة . لأنه يخفق وحده ،
فراشةً تطير حول شرنقة . انت بين الجذور ! فليكن لسانك
جذراً . قف صابراً في الماء في النار . نمْ واقفاً ، على أربُع ، في
العاصفة .

ستصلُ الى الأرض .

هي تختبئ لأنها امرأة .
تخافُ لأنها عذراء . لا تعرف ما هو العالم . أحلامُها من لا
مكان . وجهها جنة .

لأن في كتفها نبعَ أجدادك حيث خيولهم ماتزال تشرب . لأنها لا
تريدُ ان تغنّي في صحراء يديك .

كل حرف محاربٌ يقفُ بلا وجهٍ فوق أسوارها . كلُّ سفينةٍ على
مائها ، تائهة .

الكلمة تظهر

الكلمة تظهر في دم حيوان يعدو نحو مدينة جرحي . تظهر في
ناي سومريّ مليء بالطين ، على حصيرة المزارع الحافي . تظهر
في وجهي وأنا سكران على مائدة تطفو بين جزيرتين ، في بحر
إيجه .

تندلع من كأسي نارٌ صغيرة كجديلة طفلة ، تدعوني باسمي من
أقاصي العالم . الكلمة تبحث عن وجه أبيها لتموت وراء جدار
شاهق .

القصيدة ، بعد ان انتهت ، بعد ان أكملتها وتسمّمت تحياتي
بآلامها ، أنكرتني .

الثقاب

الثقاب في وجهي ، يشتعل ، في رأسه قارّة ترتعدُ حيّةً ، مذنّبُ هالي ، شمسٌ مصغَّرة ، حياةٌ رأيتُها مثلَ حريق . والى جانبي تنفُّسُ امرأةٍ ونافذةٌ مفتوحة على ليلٍ يتنفّسُ عناصَرهُ الغامضة مقابل حنجرة . كان رجلٌ قد انتهى من العمل في بستان . وفي المساء طفلٌ على درّاجة يربط مصباحاً يدوّياً على ساقه . مع حركة ساقه الثابتة ، كان الضوء يصعد ويهبط ، مضيئاً رؤوس الأعشاب وفوقها منجل الريح المتودّد يعبرُ ساهماً بلا يد ، وأبوابُ البيوت المغلقة يحصي خلفها النائمون كالبخلاء نَبَضَاتٍ ذهبيّة . أدخّنُ سيجارة أخيرة ، وأحدّق في وجه الصمت الملتحي بالمجهولات ، حتى يظهر منه نومٌ جديد ، نومُ هذه الليلة بالذات . صراعٌ مماثلٌ يجري في قطعة الفضاء الشفافة السرّية المسجونة في اطار النافذة .

تحيّة الى الظروف

كمن يحيّي الظروفَ وهو يغرقُ ، وبيد واحدة . وكمن لا يأبه ، لا يرهبه شيء ، لأنه مرّ، لانه عبرَ. الجدرانُ في طريقه ، وبالنسبة اليه ، فقدت معناها ، وانهارت حين لم تعد تخدمُ مَرْمى .

الحديثُ لم يعد الاّ مفارقةً.

هذه اللازمة التي تكرّر موسيقاها كقبرٍ للبيع ، تربط الأشياء بشريط صامت الى قرية قلبه التي يزحف نحو ينابيعها الجرحى .

فكلما خطا خطوةً بعيداً عن نفسهِ ، تحرّكَ كلُّ شيءٍ في موكب قدميه .

أيّام

أيّام كلمةٌ مفقودة تعني امرأة

تعني التقدّمَ ، بالعكسِ ، الى الماضي

حيث قواعد عسكريّة تقام سرّاً وفي الليل

لمقاومة الأشباح

أيام كلمة مفقودة تجدُ نفسها كلّ يوم

غرفةً بعد غرفة

قتيلاً بعد قتيل

دينارٌ يحلم بالهروب من محفظة

لحيةٌ تبحثُ عن قدّيس

مسبحةٌ لا تتبعُ طريقَ الأصابع

غزالةٌ صغيرة تظهر ذات يوم

بين جنودٍ يغسلون سراويلهم في نبْع

يطلقون عليها النار للتسلية

مُقابلَ رهانٍ تافه

ليس له معنى

سوى عند الجنود .

أطعنُ هذه المتاهة

أطعنُ هذه المتاهة
بالقلم الذي يرفض ان يتبع يديَّ
يُطلقُ بضعَ شرارات للاحتجاج ، فتطفرُ منها
مدنٌ جاهزةٌ ، مدنٌ مليئة
تزحفُ في عُريها الجبري . انها تزحف
مقطوعةً بالخنادق الفارغة ، وآلافُ السلالم
تلاحقُ أعناقَها
لطرد المفاتيح من أقفالها في الليل
لإجبار الفجر على الركوع
امام ظلٍّ مسلَّح

سُكّانُها : واجمون
يمضون باتّجاهٍ واحدٍ على ضوء المشاعل
تحت آيةٍ بلا أبواب

تسكبُ المرأةُ نهري ذراعيها على المهود المليئة بالحجارة
الآنَ وقد ساطَ الحنانُ دُكنة الولادة
تينَها اللافحَ بين فخذيها
الى الأعماق

في أُفقٍ يخّفقُ هارباً طيلةَ الوقت

كشراعٍ من الأطفال ليديها

وهناكَ رجلٌ

يحلمُ بعينيها الصابرتين من وراء جدار

يجدّف في النوم بعظمتي كتفيه

في كهفٍ بطيءٍ من الأشواق هو ميناءٌ أحياناً

لا تصلهُ الاّ هياكلُ سفُن

واستغاثات

انه يُسرعُ من بعيدٍ

نحو المدُن التي يسمعُ فيها الصُمُّ أخبارَ عُشّاقها

ويتبعُ العميانُ حركاتِ الكواكب باللمس

قضيت أياماً طويلة

قضيتُ أياماً طويلة

أصغي الى مخلبٍ يخدشُ سطحَ الليل

أنظرُ الى حيواناتٍ طويلة الأرجُل تقفُ فوق المحيط

تفترسُ مشاريعَ الأمواج الصاخبة فورَ ولادتها

الى غرابٍ يطيرُ صامتاً كحرفٍ عربيٍّ

بين عمارات المُدن الكبيرة

حتى فرّ النوم أخيراً من نافذتي

ساحباً بندقيته الفارغة على السقوف.

حتى انزلقت مائدتي

الى الوادي

حتى وصلتُ الى أصابعي منذ قليل

تزحفُ شاردةً نحو ظلّ القلم

وأجبرت على الظهور والاقتراب

شجرةً من الأرقام

نجمةً

شيئا ً عاديا ً

ليس له آباء

في تلك اللحظة

أصبحُ عباءة فلاّح

أصبح عظمة ً مقدّسة ً على مائدة

مثلثا ً من الأعصاب يهبطُ في الوطن

في تلك اللحظة

9 **1**

8 غراب **2**

7 **3**

شجرة من الارقام **6** **4**

5

في تلك اللحظة

أصبح أيةَ عباءة !

أيةَ أمسيةٍ من البرد

تنحني على كنوزها المزّيفة

أيةَ حياةٍ تنهارُ على متاريس يديّ

ضامرة ً بعد أسفارها الطويلة

في ذلك اليوم

جميع أحلامي أتمّت خروجها

من الأعماق ، كالاسفنج حين يهجر الأعماق

الى اليابسة . جميع أفكاري على اليابسة

تحنّ الى الأعماق

كالاسفنج حين يملّ اليابسة فيهبط الى الأعماق ، في

ذلك اليوم ! بينما أوهامي حقيقيّةٌ لا تفنى

حتى بالنار

والطاعونُ يُزيدها حكمةً

وسوءُ الفهم ، يساعدها في الوصول الى المعنى

كما وصلتُ أنا اليوم

الى هذا السرير الضيّق من الخشب

في فندقٍ رخيص مليء بشارات الصارخين .

أسرار شعبيّة

أجلسُ في سحر المساء . الأوهامُ لا تنطفئُ

قربَ الأشجارِ

بل يزدادُ بريقُها قسوةً

الغابةُ ساكنةٌ بوداعةٍ ينهبها الهدوءُ فجأةً

من وقت الى آخر

بعواءٍ مُتَقَطّع مركَّز وطويل يجعلُ الأبواب

تحلّقُ للمرة الأخيرة

ثم تعودُ للمرّة الأخيرة

بوداعةٍ تسبقُ حتى المعرفة

لو انني كنت فيكِ الآن

أسيرُ واثقاً بأخفّ ما يمكنُ للمسةٍ ما

ان تُسقِط نفسها على أكثر الأشياء فقراً :

حيوانٌ مهدَّد بالانقراض

فاكهةٌ تتبعها بذورُها اليتيمة

لو انني كنتُ فيكِ الآن كتاجٍ من الانتصابات

يتبعثرُ في كل اتّجاه

او يصعدُ بنايةً من الأنفاس في ليل

مشنقةً رحيمةً ، منصةٌ

لو انني كنت فيك

ولكن من الواضح أنّ النسيان

لن يؤخذ الا حيّاً . كصيحة تنطلقُ من مسدّسٍ ينهار

في سحر المساء. تحت الجبال

ملعقة مهجورة في خيمةٍ عسكريّة

راديو في منتصف الطريق

هذا كلٌّ شيء .

لكنّ هذا ليس كافياً !

أسرارٌ شعبيّة :

ها هو البطل يتركُ الحانةَ السريّة

تتبعهُ عدّةُ تماثيل

ها هو القدّيسُ يخرجُ من كهفهِ

مجهَّزاً بحفنةٍ من البارود ، بخارطة السماء

بعد ان تكون الأمطار قد جاءت

بعد ان تكون قيمةُ الحب قد فاضت

بعد ان تكون قطرةُ الدم الأخيرة

قد سقطت

بعد ان تكون الأهرامُ قد وصلت

الى عصور اليد الوسطى

كنسبة التضاؤل المتفاقمة باستمرار

بين الـ(1) الذي ينزلقُ من يد امرأة

والامكانيّة العارية لحياةٍ مسدّدة الى الذكرى

من الواضح أنّني وحدي

ومن الواضح انني لستُ وحدي

كعاصفةٍ حائرة تواجهُ تنقُّلات إبرة

بين مناراتٍ معصوبة بأحلام الشرايين

لا تخنْ زمانكَ بكثرة .

قصيدةُ في كلّ لحظة

(   )

في كلّ لحظة

يطردني اللهُ من حديقة .

مَصارع العشّاق

أيقظوا العاشقَ الذي انقلبَ الى جدار

من كرسيّهِ في جرّةِ الصدمة

أيقظوا عاشقَ الانعكاساتِ هذا

لأنَ المرأة

ذاتَ الجبين الذي يصطادُ قلبي في أبعد الضفاف

تريدُ ان تُعطيهِ هذه القطرةَ (.) من الصمت

والكذابُ الذي أدار وجهَهُ في النهاية

نحو فراغ الحقيقة بقُدْرة

ليسَ الا كذاباً قديراً

يعرفُ تفاصيلَ مهمّة : أيقظوه !

إنّه يتكلّمُ بألسنةٍ تجترحُ خرافات آتية

ولكن بصمتٍ وعن شيءٍ لا عَلاقةَ لي بهِ

كالقطار الغريق بركّابهِ جميعاً

في بحارٍ لن تستسلم لي بسهولة

ربّما هذا هوَ

ما يسمّونهُ بالرغبة القاتلة

عندما يكونُ الصراخُ في أذنٍ مُقصاة

كالهجوم القسريّ على عذراء خياليّة .

سرَدين

أغريها بحجارةٍ موشومة (خرَز أزتيكية مزيفة صناعة
المكسيك) وبكلامٍ متداولَ لا بدّ انّ الثعبان الماكر في الجنة كان
يحفظه عن ظهر قلب ليتلوهُ ، في اللحظةِ الحرجةِ ، على حوّاء
الجميلة . كلامٌ يخرجُ من فمي بسخاء كأعذار رجلٍ محتاج .
أقول لها أنّ الثلج يغزو سريري من النافذة . اخبرها عن
كوارث ، عن كوارث معيّنة تقوم كالسور حول النطفة الناريّةِ
البيضاء التي هي شوقي اليها . شوقي الذي يحفر بئراً جديدة
في كلّ ليلة . اليها . الى يديها وقد طلّقتا فراغهما أخيراً . الى
جميع شفاهها : أدمنتها .

فتقبلُ ، بعد تردّدٍ ، أنْ .

ودونَ احتفالٍ ، بصمت متبادَل ، نترك لجسدينا ان يتبرعما
بسهولةٍ قرب كلّ انفتاحةٍ في ذكرى الأشجار ، الولادات
الناقصة ، وبستان الشيرازي . نترك جسدينا وحدهما .
نتركهما بتيّاريهما من النبضات التي استيقظت متشابكةً ،
بخمول ، كأسطولين من السّردين الجائع .

سردين . بعد تردّد . خفقةً فخفقة .

أنتِ التي

انت التي سأكلِّمُ في مثل هذه الساعة المتأخرة ، المرأة التي قلّما
أتذكّر ، ولا أذكر ، هل كنتِ حقيقية ؟ البلدةُ التي عشتِ فيها ،
تظهرُ لسببٍ ما على جلدة ذاكرتي الآن . بقعةُ حبر تنتشر على
ورقة ، زيتونةُ ليلٍ ناضجة . وأذكرُ كيف كنتُ أراك دائماً
تسافرين على حلمتيك الناضحتين بالحليب من ليلة الى ليلة.
وأنا أتبعُ خيمةَ شَعرك الى وديانٍ ملتهبة ، وديان من أقلعوا عن
الطراد أخيراً وآخوا رائحةَ الفريسة . اعتذرُ عن اختفائي
الغريب .

اتركُ لكِ نافورةً من ثقوب النسيان ، شيئاً بريئاً حتى من
الذكرى . هذه الاسفنجةَ التي كانت قلباً .

فأنا عندما ظهرتُ من قلب المسافات كالأعمى، كنت قد أتيتُ
لأسجّلَ حيرتي بأسناني في جلد أيّامك الناصع ، ولأطوفَ بلا
وزنٍ كريشة
في متاهةِ جنسك التي استقبلتْ طوافي .

رغم انني أتذكّرُ الببّغاءَ في قفصها على النافذة وجديلةً ابنتك
الصغيرة كقوسِ قُزَحٍ في الظلامِ مازالَ يجعلني أبكي .

الحمّى

تجري الحمّى بتردّد أولاً

لكن التردّد وكما يظهر فيما بعد

كان نذيراً ، زائفاً ، حيلةً سرعانَ ما أفردتْ

تفاصيلَها ، كأحشاءِ آلةٍ عتيقة ، تحت عينيه

وهو يخوضُ ، وحده ، بصحبة القدر

خنادقَ الحمّى التي تستلقي فيها فكرةُ

الاحتراق (الماحق ، الكامل) كتجسيدٍ

عارٍ لرغبةٍ لم تعد دفينة :

الماءُ بعيدٌ

مثل كهفٍ بلود تركه في سفرةٍ عابرة

على حافّة بلدةٍ لم يستيقظ فيها احد

عندما مرّ حاملاً صرخاتهِ ، أمتعةً رخيصة

والراحةُ حماقةٌ، ترَفٌ لم يعد يحتمله نحولُ العالم

وكأنّهُ يذوب متعجّلاً في كلّ نبْضة

ليسيل الى وديان صدغيه

بينما يُصغي من بعيد

الى بلبل الامبراطور الصناعي

الى غانياتٍ نائمات في حدائقَ مجهولة

تنسجها في النخاع أمطارٌ إبرَيّة

ومنذُ الآن يحلم

إنّهُ يحلمُ منذ الآن بوجهه المحطّم

منقوشاً على نقود المملكة التي أضاعها برَمْية نَرد .

هولاكو يمدح نفسه

أنا هولاكو

بحرٌ من الأعشاب تقطعه الخيولُ بصمت

سنابكُ ناريّةٌ تطرقُ على ليل المدن

انني فكرةٌ في رأس الحجر

لسان القدر وقملة الله

الحرب عذراءُ في خيمةٍ ممزّقة

والصمتُ أحد أعدائي

أنا هولاكو

بحرٌ من الأعشاب

تقطعه الخيولُ بصمت

سيفٌ يكره الانتظارَ في غمدْهِ

تحت أسوارٍ تحلمُ بالغربان

أسوارٌ ، أسوار .. يراني اللاجئون

في أحلامهم بين الخرائب

ويشحذ الأسرى قشّةً صغيرةً من حصاني

7 تعريفات

القلب : كوّةٌ تحت الضلع الثاني

غير صالحة الا للكسر

الأرض : تنتظر الحرائق

مفتوحة دائماً للإخصاب

السماء: نوع من الحجارة

منجم وهمي

لأستثمارات غير محدودة

النهار: لون الأرض السري

اليد: منبع الرسائل والإشارات

منجنيق حيّ في حالات الطوارىء

الموقف : مهما أبتعدتَ

الى أية بلاد بعيدة

ستصل الى قلبك في النهاية

حيث يتدلى الجرحى من النوافذ

حيث الجرح يحتقر الرصاصة

والآخرون: وطن دائم التنقل لاتنقصه الحجة

ليصفعكَ في كل مكان

بتجلياته الألف

محاولة للوصول الى بيروت عن طريق البحر

ذات مساء بعيد

بينما أُهرّبُ نافورة بين الخرائب

أو أرشو ليلة بقصيدة رديئة

تنزفين أنتِ

في خنادق الهدنة الباردة

بجباهك الألف

أردتُ ان أفرش طريقاً بسجادة من أنفاسي

الى حيث مازلتِ واقفة ً:

متراسكِ هيكل حمامة

وجهكِ جنة جريحة

أردت ان احترق بين يديك قليلا ً:

لامكان يحلم بوصولي

والحياة

طريدتي الخائفة :

عندما تفتح عينيها

تستعد كل لحظة للولادة

في مهدها الطافي بين عظامي

أستيقظ بعيدا ً على مياه أجنبية

وحياتي تتحصن ضدي

وكلاء السفر ينظرون اليّ بأستغراب

عندما أسألهم عن السفن الذاهبة الى بيروت

لكنني أترك بيرّيا بعد يومين

بيرّيا : الميناء الذي يصدأ فيه الأنبياء

ولحاهم تهب على المجاذيف

وشارع سقراط في أثينا

حيث تجلس بغايا جائعات في أعتاب الفنادق

على صناديق الشحن الخشبية التي استعرنَها من

أصحاب الدكاكين

في ثغور المتوسط وبحر إيجة

الريح

أرملةٌ عمياء

لاتبحث عن أحد

لكنها أحياناً تمرر يديها

كورق السّنفرة على مداخل قلب

حيث يتجمع ملحٌ أحمر، حيث تتوقف

الفجر يعبر الجسور، مقنّعاً ، في تلك اللحظة

وبينما أقول للحياة : أقسم إنني لن أُؤذيك ، أقتربي !

تصعد بيروت كل ليلة

كصرخة مفقودة

من عين القتيل الشاخصة

أو تسافر خلسةً كشمعة الفقر

بين السلالم المسندة الى جدران صدري

وبينما أقول

لاتفعلي شيئاً واحداً في غيابي

أرجوكِ يا حياة ، وبوثبةٍ واحدة أريني

بطنك المثقوب بقناصة الهاوية

تقولُ بيروت في الليل

للّيل :

عليكَ أن تذهب الى حافة القلب

هناك سأكون كلامك

عليك أن تلعق هذه العظّمة الباردة

حتى تضيء ليلكَ بعُرْيها

سافرْ

حتى يتصاعد الدخان من البوصلة

أثينا 1979

إل سالفادور

هذه الأغنية التي

تجدلون لها حبلاً طويلاً في الخفاء

إنها ستستمر .

سنكتب التاريخ هذهِ المرة

بأقصى ما يمكن من الحذر .

أيها السادة

ماذا فعلتم بالعالم ؟

أخاطب المجرمين الكبار بينكم

أولئكَ الذين يسكّون نقود الأرق

للشعوب الصغيرة

مسلّحين

بالديدان والدولارات

بصواريخ بيرشنغ ووكالات الأنباء

مَن الذي أوكلَ إليكم بالعالم ، بأي شيء؟

مَنْ أنتم ؟

أفعال مختارة

ستتعلم : هناك تحت جلد الأساطير ، تحت رُكام كل شيء ،
أفعالٌ مختارة . أفعال أُختيرتْ لكَ وحدك لتتبعها بدقة .

لتكون الشرك الذي تنتهي فيه بأمتعتك اليومية .
السلة التي تمد إليها يدك بحثاً عن بيضة لتجد رأس الثعبان
المزركش بالنيون .
هناك ستعبر مفترق مصيرك الى صحراء يحتلها الصُم
بآذانهم ، والعميان بأسلحة اللمسة الرخوة.
الصحراء التي أشتهرت بذئبها الذي لا يُصاد وأنت بالصدفة
الزائر الذي أدركه الليل .

بعض المياه التي تشربها في السراب
ستكون مالحة .

آنذاك ربما أمكننا أن نتحدث بلغة الإشارات الصادقة ، لغة
الحاجة .

نصغي الى نواة الصوت ، تتساقط فيها شلالاتٌ طويلة من
الأجداد ، الهادرين خلفنا بمسافة شبر. أي بكلمة :

هيا ،تشخّص بي

ومن أجلك سأذهب الى أبعد مما تحملني قدماي

ربما أبعد من ظنّكَ في قدرتي على الذهاب !

لأعرف ولتعرفني . لأعترف وتقبل أعترافي .

يمسنا جناح الخطر بحد ريشة

كمن يغني في الظلام من الخوف .

كانت لدي خططٌ مضمونةٌ تقريباً

لكنني

عندما خطوتُ الخطوة الأولى

تداخلت كلها بمفعول الصدمة

وها هي قدمي الأقوى تتقدم مسحورةً بالجدران ، بينما قدمي الأخرى ما زالت تترددُ في المهدِ .

عيناي مثلاً

تمضيان في القراءة

حتى بعد أن أُغمضهما

كأن المعركة أنتقلت الى داخل الثكنات .

وبأسرع مما تستطيع أن تقرأ الجملة الآتية

يكون المستقبل قد عزف مقطوعة الماضي كاملة

على جميع مفاتيح العالم الغريقة

حتى قبل أن يجد يديهِ .

إذا كنت تعرف

إذا كنت تعرف كل هذا
لن تبدأ من الصفر على الأقل

أبدأ . مسِّدْ هرة الأعمى بيديك . أجلس مع الأطفال .

ها هو النهار تحتفلُ بهِ حتى المائدة
بغطائها النظيف
بكوبها الذي فقد نصف ذراعهِ

ملامحك القديمة تحاول العودة حسب شروط منسية بينك وبين النسيان ، وتستعمل أغطية مسروقة لهروبها .

عباءةٌ مطلية بفضة المرايا تتحرك بشكلٍ مريب
في أسفل الوديان .

إنها الماضي.
أعطي هذه البرهة لحالات أستنفادي
أعطي هذه البرهة من الرمل جلالها اللازم ، فتحلبني حتى الجفاف .

وأكون على وشك أن أستدير عن وجهي
عندما يسقط أحدُ أجدادي من المرآة .

قصة

فجأةً بالصدفة وبلا إنذار
كانت المائدة
قد أختفت والضيوف تفرقوا
وأنهمرت على السقف مع المطر
رصاصات مجهولة
تحقق وعودَ النقمة بحذافيرها
أو تُعلِنُ بدء عرسٍ قروي صاخب

ووجدتُ نفسي
وسط مدينة لا يعرفني فيها أحد
أروي للغرباء في مفترقات الطرق
قصةً لا يصدقون منها حرفاً واحداً
وبعضهم يحدجني بعيني ذئب
بعضهم يرمقُ أحذيتي المهترئة
وبعضهم لايراني
كأنني عرّيت نفسي حتى العظام
أو بحتُ بسر خطير يبعثُ على الرهبة.

ثم بدأ الثلج يتساقط على العالم.

ليلة في انسينادا / المكسيك

كل ساعة قضيتها ، كل نأمة

وصلتك من جبال الحيرة

فقيرٌ يطالبُ ببدلتك القديمة

في زقاقٍ بلا مخرج

أفُقٌ طاف

ينصبُ كراسيه المصبوبة من عظْمة واحدة

لك وحدك

سكران كريشة الموسيقي

يعزف على شرف السكين

بأمرك السري

لكَ وحدك

كل ساعة تسلخ نفسها مجاناً

بمدية الجوع المتوارثة ، من أجل ماذا ؟

رّبما

لكي يصفو

ذلك الوهم الهزيل

صبلوّة جديرة بصحرائها

قلباً

يرتعد في قنينة التيكيلا

تلك المرأة الوحشية وهي ترقص في حانة مقفرة

في بلدة قتيلة كجلد افعى :

- سنيور، لقاء خمسين بيزو

أقسم لك انها عذراء ، سنيور! يمكنني

من أجلك ... هذه الليلة ...

ربما من اجل ذاتها

طريقاً

تشيّد نفسها في خدمة رحلة

اسطورة اكلت عينيها آلهة عقيمة

وثعابين مرَّيشة تطير على السقوف

الفقر

يضرب ناقماً جدران التراب

في ملاجىء عينيه

كلحية مزارع يجلده الجنود

طائر

يذبح شجرة

بعبوره، يختزل افاقاً

- انظر الى اهرامنا سنيور . المايا

جاؤوا من مصر ، لا ؟ هنود الازتيك

سومريون قدامى.

بابليون عبروا المحيط

بقوارب البردي

لقاء خمسين بيزو ...

لقاء خمسين بيزو فقط !

قصيدة أخرى

نهاية 1977 ! كنتُ هنا ولكن في زمن آخر . قصبة أُخرى هربت
بها الريح الى ثكنات الصمت المسوّرة بالتماثيل . هربت وهي
تطالبني : أين ملحمتي ؟ خيولي وأبطالي ؟ كم ليلة أُخرى لأكسر
أكتافك الهزيلة ؟ لم تتعلم مفاداتي ! أسرع الى بلدة جديدة إذن.
هيا، خذ إليها حيرتك المغرمة بالحقائب.

الأبواب كلها مغلقة

ومفاتيحك العتيقة لن تجدي هذه الليلة !

هروب قارئ الكف

توقعوا هروب قارئ الكف

من باب مصيره اليوم

الى مزارات الحُفاة الشبقة بعاصفة واحدة

الشعب داخل أبواب الخرافة

شاهد على التكوين

إنه شاهدٌ على القذيفة التي تأتي من خارج الأسوار

توقعوا الإله العصفور

رباناً مقيداً بالأمواج الى الرحلة

القائد الذي نهض سيفه في الفجر

وبعناية أخصاه

شتاءً طويلاً من الحكمة

حكومات تسقط من السقف

توقعوا آفاقاً

نهشت نفسها بمشط مغنية

بغريزة الحيوان الأعمى وآليّة الحتف

الدم

يكتسح هرماً من تماثيل حول بيتي

ويجعلني

أسيلُ من عُرف الديك

ببطء القيامة

ويجعلني أسيل كقطرة الصبر الأخيرة

ويجعلني أسيل بعيداً عني بعدّة أصداءٍ

لأسبق وصولي بلحظة.

رسالة من هوليوود

الى صلاح فائق

عزيزي صلاح

في الشارع بين براميل الزبالة

ينام الموتى واللصوص معاً

في هذه القارة المسروقة

وفي هذه الساعة المتأخرة

يدخل المقهى هنديٌ طويل

قتلوا حصانه الأبيض

ولوثوا أنهاره الجميلة

بينما ممثلٌ عجوز يواجهني بصمت

وعلى المنضدة

يضع بقايا مسدس

نجا من أيدي الأهالي بأعجوبة

في الحروب الاستعمارية الخاسرة

الهندي حزين هذه الليلة

تسيل من عينيه سهامٌ مجانية

ويداه بلا هدف

إنه يطالب بأنتباهي المطلق

مقابل أكتشافات مخيفة.

هناك

وجدتُ نفسي في هذا البيت

تُديرهُ إمرأة تختفي طيلة الأسبوع

هائمة على وجهها بين الأنهار . حين تعود،

تربطُ قاربها الى رِجلي وأنا نائم

وبصمتٍ ثقيل

تجرُّ جسدها المخدّش بالمخالب الى سريري.

في الأزقة حيوانات أطلقوا سراحها

أخذت تزداد جرأةً مؤخراً

وتهاجم المرضى والأطفال

هناك أخبارٌ وشائعات : يقولون

إن مجاعة كبرى ، أنّ الطاعون ، أنّ المجازر ...

وعندما يصل الفجر في عرباته المليئة بالذخيرة

يضرب جيراني برؤوسهم على الأبواب

علامةً على الطاعة

أو الألم الذي لايُطاق.

الى صديـق

في تلك الأرض
تسكّع قلبكَ حتى صارت الشوارع
شرايينه الجديدة
مريضاً من حبٍّ
ما لا سبيل الى حبه
ولكن مريضاً من ذلك الحب

فوق آخر صخور الرحلة
أردتَ من الريح
أن تجرد الغراب من ألقابه الفخرية
من ملفات أين ولماذا

حلمتَ بالوطن أحياناً
أردتَ أن تدفن أقدامك في لحمهِ الى الأبد
وترى الجبال بعيون أطفالك

هل أحببتَ الريحَ الى هذا الحد ؟

كلما خطوتُ خطوة

كلما خطوت خطوة

أنفتح بابٌ في وادٍ بعيد

أجلس لأستريح

فيصعد الى الأفق رجلٌ ملثم

يشقه بأظافرهِ كحذاءٍ قديم

تسلخُ النبوءاتُ

على الأرض جلودها الرطبة

وهناك كاهنة جميلة

في بستان التاجر المخرّب

تُخصبها آلةً قديمة تنمو من الأرض

جنكيزخان

عاد الى سرقة الخيول

والأرامل تحت جنح الليل

العروس مجهزة كالقارب بانتظار المجداف

حاجباها المزججان يخترقان المجهول

بحثاً عن البعل

كقوسين يحرسان فتحتي عينيها

حيث ستولد سهام القبيلة السبعة

أتبع كأساً طافية بين يديَّ

تدلني الى حانات صامتة

لايشرب فيها إلا الجرحى.

في صدري

مائدة محطمة

سكين شاردة تقودُ اليها ضيوفي

من أزمنة الطوفان

أمشي ويداي وراء ظهري

أداعب قيدي كمسبحة من الأصفار

يهدر المغول من ورائي

وسيوفهم تفتحُ الأمواج

أمامي

تقف الأبواب

وحيدة بلا بيوت

يصيحُ بي صوتٌ عابرٌ من وراء الأسوار

عُدْ الى حيث كنت عُ دْ

من حيث أتيـ

ت

أيّ ها الأحْـ

مقُ عُدْ !

ولكن يبدو أن العودة مستحيلة .

كهوف

حين أزحتُ شعرها الطويل عن جبينها ، فتحت المرأة العارية
عينيها ، نظرت الي وأنا أحدقُ في عينيها الخائفتين حتى الكهف
الأخير من أراضيها السحيقة .بعد لحظة ، أكتشفتُ إنها عمياء
لاتراني إلا باللمس . أكتشفتُ إننا لسنا وحدنا في الغرفة ، إن
الطرق التي سِرنا عليها منذ الولادة ، أنذرفت من جسدينا ، في
نظرتنا الأولى ، والتقّت حولنا كخارطة مجهرية : العواصم
الوحيدة المأهولة فيها ، نبضاتٌ وثبت بلختيارها ما وراء أسوار
القلب ، وثبت عندما دعتها الهاوية .

كانت أرضها أهوار الملح .كانت أغوارها دسكرةً للذئاب
الجريحة . وفي تلك اللحظة ، رأتْ المرأة العمياء وجهها يهربُ
بالمرآة وحدهُ ، شرقاً ، ورأتني لأول مرة : وكنا عاريين في أرضٍ
غريبة تستبقينا بعينيها ، بينما تطردنا يداها .

أوروبا

على طريق النطفة التي تريد أن تُغرقني

أذرعةُ الغرقى ترتفعُ مقدّماً

كلَ أربعاء في روما

بينما البابا يخطب كالببغاء من شرفة الفاتيكان

للحمامات الرمادية بين سيقان الراهبات

تسحرني مظلةٌ يابانية شفافة

لجسد خفاش بهيج يوحي بالفرح أخيراً

أو قبعة قسيس (لا مظلة له) مصنوعة من الصحف

أحلمُ أولاً

بأنني أهرّب عروساً في دروشكي سريعة

عبرَ جبال القفقاس ، بينما

عاصفةٌ ثلجيةٌ تُعيد ترتيب السفوح من جديد

في وادٍ ما .

هناك أيضا حدائق ذابلة تنبتُ فيها السكاكين

قارات سُرقتْ كاملة !

مفاتيح الطوفان في رُكب الغرقى

في داخل كل معمل كنيسةٌ جاريةٌ من العرق

حيثُ العبادةُ آلية

ولكن الى المزبلة بحكمة ذوي العاهات

لقد حان الوقت

نجومها التي لاتجرؤ على الأحتراق

الإ إذا حَلِمتْ بسعر الإضاءة

أن يظهر الجرحُ قبل الطعنة

أن أفهم أقتصاد الغريق والقشة

في مناقشات مثمرة

يلعب فيها المزهج لعبته الانتحارية بانضباط

وبينما الرجل يتكلم

أكتشفُ إنه نائمٌ منذ أيام !

وفي قطار أسمه موتزارت

نسيتُ غليوني، في الطريق

من هامبورغ الى كولونيا حيث كان العائدون

من مباراة كرة القدم قد شكّلوا مظاهرة

للأحتجاج في الغروب على الخسارة لفريق «تِبليسي»

متدفقين بضراوة تحت ظل الكاتدرائية العميق

فندق في ميونيخ

دماغي (ناعورةٌ نامت ثيرانها) يرشح على مخدة

غداً : جبال نائية ، أنأى ما يمكن ، نائية بقدر المستطاع

وفي تاريخ قادم سأبلغ وطني

أو أجلدُ صارخاً قطعان الجسور

لا مطر في أسبانيا لأكثرمن سنتين

في باسيو دل برادو بمدريد

النوافير الصامتة كالعظام تبصق الهواء الميت

ولكن في غرناطة (تحية أيها الأندلسيون !) حيثُ تمتدُ

الأنابيب

من جبال السييرا نيفادا المتوّجة بالثلج

(والتي بناها العرب منذ الف سنة)

ما زالت نوافير قصر الحمراء تتدفق

« نعمِّدُ أطفالنا باللعاب هذه الأيام »

يمزحُ أسبانيٌّ بكآبة

من الراديو .

مساء في قارة مسروقة

هذا هو ما يحدث اليوم

بين سكارى المساء الذاهبين الى منفاهم في الكأس

حيث يُحتملُ أن تختبىء فريسة

أن يلتهب عالمٌ ما

منسياً كمصباحٍ ملطّخ بالوحول

يتقد في النهار .

أخرج في المطر باحثاً عن جريدة

لأقرأ عن كاربوف وكيف سحق كورجنوي في الشطرنج

6 مقابل 2

مذبحة

حتى اليوم كان العالم واضحاً

(من هنا أرتياباتي الطويلة) مصقولا ً

كهذا المساء

بلفتظار الثقوب ، طعناتٍ

غير متوقّعة ، بكاء يتردد في أروقة

(ربما هذا هو التاريخ)

ليدمى أخيرا ً ، في كمينه الخاص ، من الجنب

حتى اليوم

ديونٌ غيرُ موفّلة

إناثٌ مغمورات لا يعرفن الشبق إلا في نهاية دهليز

تحت ركبة الليل الثقيلة

شرفةٌ تنهارُ على رأس سكّير

جسورٌ من قطراتٍ ومن سلاسل

شارعٌ مقلوب

تسحرني حليةٌ (رخيصة ومبهرجة عادةً)

على صدرِ إمرأة عادية

أو معجزة : رجلٌ ينهضُ من نومهِ في كل مرة

لكن الجريدة ملقنة 100 بالـ 100

(ستالين ما زالَ حياً . ريغان

يصرّ على أن الشيطان من أصل روسي)

مُشرِّطت أخبارها مقدماً

(يشرف على قسم الأمشاط جيش تجاري من الصاغة)

كشُطت أحشاؤها بسكين التسلية

كالسمكة الميتة في مغسلة المطبخ

الليل يمكن انتهاكه والاعتداء عليه

من مسافات بعيدة

كالكهوف الرمادية في عيون الفقراء

في شجرة من رماد طيران أعمى لطائر مفاجئ

يبعثر الشموس في كل اتجاه

سيارة معطلة

مسبحة الأيام السريعة

وفي هذه الأثناء

عشر سنوات من تلميع قامة الصمت بالصراخ

حزمة رسائل من معذَّبين

برقيات خيالية

شهوة التجوال الطواف

وارتعاشات تجد أجسادها بمشقة

أنه وقت الوقوف تحت نافذة

لاتنادي الغريب

كنهاية بائسة لعصر حافل

وقت تصفية الحساب في البارات

قطعه النقود الأخيرة عندما تغادر الجيب

لم أشتر العالم في هذا المساء

لم أدخّن جمرة النسيان .

قرأتُ عن كاربوف .

قصيدة عندما تنطلق صرخة

عندما تنطلق صرخة من نافذة

كطائر خنقته الريح

عندما ينام عدوي وقلبه يحلم برصاصة

أسير على طريق غير معبدة

مفكراً بجملة

يسبح بين عظامها ذهب العميان

بحر يخفي سواحله بستارة

وأبواب تفترس أقدام المتاهات

قبل أن يندفع الليل باتجاهي

حية جميلة

يطاردها فلاّح نائم بمذراة الحصاد

الدم يلمع، لحظة ، على قصدير السقوف

وسفّاح الغروب يهرب بين الأزقة

بشفرة قديمة من الذكريات

بشفرة قديمة جدا ً

لم تعد تخيف حتى ظلها

من آخر العالم كان نسر يطير

ليفقس بيضة المستقبل البعيدة

وكنت على وشك ان آخذ

فاكهة الرغبة في يدي

من الشجرة التي تهمس بعيداً

في أحلام جريح

عندما اختنق الراديو بموجة من القتلى

وفاجأني الأعداء في سريري.

صندوق

تقدمَ من معذبيه

بعينيّ سكران

جميع الأحداث النائية والقريبة

لاتخبىء فيهما إلا هذه اللحظة

محملة بالمحاريث المدفونة في جبينه لفلاحي المستقبل

وجيبهُ الممزقُ

حتى الكاحل

ولسانهُ يمرُ

على مدنٍ مبقورةٍ بنصْل النوم

في أسنانهِ الآن هذه القطعةُ من الأرض

كان يسميها أرضَ « مثلا ً» أرض « ربما » الحبَ

الواقعَ في أحبولة الأنوار

عيون الآخرين ، والسيجارة الأخيرة

عضّ أخيرا ً

وكأنما على حبة الجنة المسمومة وقبل أن يُغمى

على الأرض كالمحظية

في فراشها المعطر بعرق الجنود

بين بقاياهُ التي ذهبنا لنرثها من السجن

هذا الصندوق الذي تقبع فيهِ كالذئب تحت المفتاح

حياتُه التي أرتوتْ من الصدق :

مرآة الحلاقة بليرة واحدة

تذكرةٌ ممزقة الى مكانٍ مجهول

تنتظرهُ فيه ربما

إمرأةٌ ملثمة على نهر

الحجرُ الذي يختزنُ طفولته كالدفء

في راحة اليد

أو الشجرة التي جلسَ تحتها يوماً مثلاً

وأصغى اليها وهي بتتهلُ للفأس

جـــلاد

أيها الجلاد

عُد الى قريتك الصغيرة

لقد طردناكَ اليوم ، وألغينا هذه الوظيفة .

قرية

الباعة المتجولون وأصحاب

الحوانيت الصغيرة قتلوا المختار في الليل

مما اضطر بقية الجياع إلى بيع ذهب نسائهم وجاؤوا بالمئات

والآلاف

يرشقون خوذ البوليس بالحجارة

بالطحين والزيت والسمن و السكّر والحليب

والأرز والعدس والحلويات والمعلّبات والصابون والحرامات

والفرش والشراشف والألبسة وأغذية الأطفال

وكل بندقية تدخل القرية

يقام لها عرسٌ صاخب على ضوء الفوانيس

قلبوا حسابات الأعداء

ومع ذلك

ظلَّ مستنقع الأصوات المتخمة طوال الليل

يصبّ في بالوعة الخيانة.

أحلام مطرقة

أيدٍ تلوّحُ بين النيران :

أيامٌ حافلة !

تتخذ ُ الدوامة ُ مقراتها

في أرجل المطاردين

والطرقةُ على الباب دعوة ٌ

الى يوم القيامة

هذه الجموع التي تُساق الى الهاوية

بحدَ حربة

تعرفُ أن العهودَ السابقة كلها

مزوَّرة

ونحنُ على مسافةِ صرخةٍ

من الحريق

الحبَ

يفقأ ُ عينيه في كل مكان

دائما ً على أستعداد ليُرمى بالحجر

بالكرة بالقذيفة

وفي أية لحظة

قد ينفجرُ الصمتُ بين يديك

كيف تقمص العدوُ

أو هامك الجميلة

وسكنَ المرأة

التي تحاولُ إغراءها ؟

من فتح الأبواب للجيوش في الليل ؟

أيامٌ حافلة !

أيدٍ تلوّحُ بين النيران !

لن ترتاحَ المطرقة

حتى يختفي آخرُ مسمار

غداً

سيعلو الهتافُ والتصفيق

لكن الخطيب لن يبلغَ المنصة

بليلة واحدة

ولماذا الخوف؟ قبل أيام أكتشفتُ إنني أكثرُ حرية من أية

طاغية ، وأنني ببعض الجهد

قد أضاهي النملة في نُبلها !

رغم إنني أعترف منذ الآن ، أنني كسلان ولي ذكاءٌ من الدرجة

الثالثة إذا قورنت بالنملة . لأن الدقة التي تعبر بها من مكان الى

آخر ، وحسب إجراءات كاملة متفق عليها بين الجميع ، فوق

طاقتي أو صبري . بهذا القياس أفشل ، رغم إن لي مزايا أُخرى

قد لا تكترث بها النملة مثلاً .

أنتِ كذلك مثلي، حُرة وأكثر من طاغية يشعر منكِ بالغيرة.

معاً، نشتري الأبدية بليلةٍ واحدة .

يجدُ الأخرس فماً يُترجمُ لهُ العالم، وأصنام القوة تدخلُ منفاها

الأختياري .

ذاتَ يومٍ كانَ آباؤنا قتَلةً للعمالقة

تذكري هذا .

الخوف مجرد كلمة .

وبينما فيلة هانيبال تتسلقُ جبالاً

أو تحترقُ قرطاجة

نقف في الوادي أنا وأنتِ

هناك

في الثلج

حيثُ المغول يجرّون المنجنيقات ثانيةً .

أرض الحاجة

وقف على رأسي كالطير

كان ظلاً

ظلاً تخترقهُ طيور الخطّاف

جيئةً وذهاباً وبسرعة

كأن كارثةً تنضجُ أو عاصفةً

تستيقظُ بكسل في ذاكرة البلدة

لأنني كما أذكر كنتُ

في بلدةٍ مجهولةٍ ذلك اليوم

وفي تلك اللحظة

كان وراءَ كتفي

تخترقهُ مذنباتٍ ضعيفة

تتركُ طنيناً ضائعاً في أذني

ولم يسمح لي أن التفت إذ واجهني

بهدوء وأخذ يتكلم

بين أسنانهِ كانت ريحٌ

صغيرةٌ تُداعبُ أوراقاً

كبخيلٍ يحصي أموالهُ

غارقاً في حفيفها السحري

وجههُ مضاءٌ وكأنما

بحفنةٍ من قطع الذهب

لن ينفقها أبداً

كنتُ أسمعُ ، أم

هل يا ترى أُكلمُ نفسي ؟

كان الهمس يقرعُ أُذني الداخلية

كموجةٍ عنيدة

تضربُ حجراً

ريحٌ مشغولة بالنُحات

مهمتها لأجيالٍ، أن تنحتَ صخرة

أن تفتحُ قوقعة الأذن

عليكَ أولاً أن تغمِضَ عينيك

كوردةٍ ذاتَ ألف ورقةٍ

أن تجدَ الفاصل والحدّ

أن تُنقِذ المسيح من يهوذا

أن تَقبض على الريح يوماً

أن تختار سماءَك بدقة

عليك أن تفتح عينيك هكذا

من الداخل كوردة

أيةُ وردةٍ تعني ؟

يلعن أجدادك يا سركون !

ومتى رأيتَ وردةً

كم مرة سِرتَ في حديقة ؟

متى كانت آخر مرة

جلستَ فيها مع صديق أو صديقة

تتأمل وردة ؟

تعيش كأن جيشاً من الأشباح

يطاردكَ من مكان الى مكان

في فنادق من الدرجة الثالثة

تحمِلُ أسماء الآلهة

حتى صوتُ القلم

يجعلك تُفكِرُ بأسنان فأرٍ

يقرض كسرة خبز

أين رغيفك الحار في الصباح

تجلبهُ لكَ أُختكَ الصغيرة

(أين جديلتها

المضفورة في الشمس ؟)

وتحت رأسكَ

على الأقل مخدةٌ نظيفة

وبين يديك

على الأقل فراغ التوقعات

ما معنى بقائكَ مفلساً سعيداً

جائعاً شقياً ميتاً وحياً لا حي ولا ميت

بين النوم واليقظة

لا نائم ولا يقظان

أستيقظ أو فنمْ

نمْ وإلا !

أستطالَ الظل وكان يهزني الآن كالخرقة

وأدركتُ لأول مرة

إنهُ لم يكن ظلاً ولا من يحزنون

كانَ إنساناً مثلي من لحمٍ ودم

رجلاً حقيقياً مجهولاً

لم أرهُ في حياتي !

وأمسكني من ياقتي وهو يهزني

كأنهُ يعرفني

كأنَ الصعلوك أبي

أو أخي الاكبر

أو مفوض الأمن

أو دائن لم يعد يطيق الأنتظار !

قلتُ لهُ

مرتجفاً

ما هذا ؟ من أنتَ كيف تجرؤ..

لكنهُ لم يتركني أكمل بل شدني

إليهِ بقوةٍ مخيفة

وسحبني الى الباب من تلابيبي

ثمَ ركلني في مؤخرتي

ركلةً أطاحت بي في الفضاء

وأخذتُ أتدحرج على سطح الأرض

الكروي بلا توقف

كأن قائداً مهزوماً ضربها

بقفّلزه الملطخ فجأةً

فأخدت تدور على محورها

من علامات الأستفهام الصدئة

ولا شيء يوقف عبوري

على صدر الأرض

حاضناً ودياناً وجبالاً وسقوفاً

حاضناً أنهاراً وبشراً وحجارة

بذراعين أطول من ذراعيّ

لا تعرفان إلا العناق

تأخذني

تأخذي دائماً الى الحافة

لألقي نظرة ، لأشرب ، لأذهب

نظرة الآسر الى أسيرهِ

نظرة الأسير الى الحرية

في تلك الوديان المنيعة

حتى على اللّمس

لن تتم المهمة إلا إذا ذهبتَ مسلحاً :

حجارة الفقر ، اثداء الحرب المثلثة

الرحلة أنتهت

والرحلة روضت أسد القبيلة

مسافات أتركها ورائي

مريشة بخطوة

تُصافح آفاقاً

تترجم أميالها وتلد المسافرين

لأنها تلك الرحمُ الموهوبة ، مزرعة الولادة

والأرض : لقمة من الأشواك

لا تعرفُ البُخلْ

مزمارٌ بعيد

أتتْ منهُ نغمةٌ منفردة

سبحتْ إلينا من مسافاتٍ سحيقة

بين أوثانٍ معطلة ، على ظهور المدن

في الأفواه التي لا تبوح بكلمة

نغمةٌ قاسيةٌ ونغمةٌ حنونة

جيبُ العواصف السري

حيث تبحثُ عن عُزلة الذهب.

كلما فتحتُ باباً : غرفةٌ غارقةٌ في الصلاة

براثنُ المساءْ

عنكبوتٌ يسيطرُ على حديقة

أحياناً لا أرى شيئاً (عمّى مؤقت).

لكن أعمالي كلها ناقصة الآن

تحفر الصفحة بحثاً عن قافلة

عن سُلَمٍ من الكبريت

أُريدُ أن أعرف أين يعيش القلبْ

أن أقف في نسيمه الذي يطبعُ لي نبضاتي

على سلحفاة الليل المسافرة

على الرغم من ذلك

كذلك

فوق ذلك

بالأضافة الى ذلك

مع ذلك

أجد مكاني بلستمرار

كأنهُ رحمٌ تستعيدني من العالم.

أُريدُ أن أشكر الغبار الذي أحملهُ كالإرث

أينما ذهبتُ .

الحياة قرب الأكروبول

إلى كاظم جهاد

في قلب الأكروبول ، بالضرورة

في أزمنـة الظلام ، تبدأ العينُ بالرؤية

ثيودور ريتكه

التوطئة

في وقتٍ مضى ، في زمنٍ آت

في زمنٍ آتٍ في وقتٍ مضى ، لشيءٍ أو لشارةٍ

افلتتْ منّي .

عندما كنتَ ترودُ في الليل .

عندما كنت أرودُ . عندما هربتْ منِّي شبه عاريةٍ في كرْمةِ أبيها

صانع الخمور الكئيب ثمَّ لم أرَها .

من أجلها أنتَ هكذا

كالوحش في أسْرِ بَيْدائه .

من أجلها .

تلك المرأةُ المولودة بقلب واثقٍ من النصر

هي التي بحضورها

يُلجمُ العالمُ اسودَهُ فاسمعُ زئيرَها

المخنوقّ وأُشعلُ السيجارة من الفلتر ، بحضورها ، عند انتشائي ..

مَنْ لن أُمسِك برسغيها ثانيةً

لأدلها إلى حيث ينتظرُ السرير .

هل كانت تفرُّ كلَّما هممتَ بلمسها ؟

كانت تفرّ كلَّما هممت بلمسها .

وكنتَ كالمستجير بالرمضاء من النار فاستبدلت عذراءك بالذئبة

وقيل أنّك عشت في الغابات والمدن

وخالطت البرابرة ، أصبحتَ ضيف المسافة : أضواءٌ تدعوك

في كلّ زاويةٍ ؛ أجنبيةٌ ، في مَرْماك ، راغبةٌ، تُنالُ ..

هل وجدتَ نهرَ

آبائك ؟

أينما استدرتُ .

والتقطتَ عشبةً مجهولةً عند ضفافهِ

فأكلتها ، لا ماءَ فجأةً ولا بيتَ ، إنما قدَمٌ تسعى وطريقَها ؟

أصبحتُ قدماً لا تعرفُ طريقَها .

لأنَّك متَّ وحييتَ وضحكت وبكيت ؟

لقد قاتلتُ قليلاً ، ثمّ نسيت .

إذاً نجوتَ أخيراً ، أم تُواكَ اليوم آنساً بالكمين ؟

أصبحت جزءاً منيراً من أيَّامي ، أليفةً في آخر الليل كهذا

الباب الذي أعودُ في آخرَ كلّ ليلٍ إليهِ

وانفضُ أمامهُ عن سُترتي الندى

باحثاً عن المفتاح .

العشـــــاق

عندما يعزفُ الليلُ في أُذْنيهِ بآلاته المرهَفة من الأرق ، موسيقى
كان بانتظارها ، يسمعُ كلاباً هيّجها دمُ بعيد ، تراشُقَ صرخاتٍ بين
السقوف
يميّزُ بينها دائماً ، صوتَها الأليفَ بوضوحٍ ويطلبُها
في الشوارعِ حيث تسوقهُ الريح .

هذه المتقدّمةُ إليه ووجهها إلى الوراء
وكلّ شيءٍ يتأخّرُ عن موعدهِ لأنه الموعد الذي ينبغي انْ
يُخلَف ، كان يراها إذا حلم ، يحلمُ إذا رآها
واقفةً على رصيف الموت القريب
تؤشّر إلى ملابسها الجديدة أو إلى السّرة
(هناك يضربُ مواعيدَهُ الندى) ، وفي منحدر المصائب المسدود
بالبخار
حيث النور يحتدُّ والليلُ أبْكم ، رآها : كان الآن يسْعى
كلّ ليلةٍ برجليهِ إلى الشركِ ؛ الطوقُ ، رقبةُ الحمامة ..
النايُ في يديّ عازفٍ يفتضّ بالصُّدْفةِ نغْمةً من النغّماتِ
ماذا يُعيده إلى حياته الأخرى ، وإنْ عاد ،

أيُّ جدوىً في عودته ؟ تجدلُ روحَهُ في حبْلٍ قويّ لرقابٍ أُخرى

تنحني لها بكلّ سرورٍ مقدّماً ،

هذا العبدُ المكرَّس للتمرّغ في صراعه الدائب للسيادة !

وقريباً سيكون لهذا المسكين ، أن يُعجَب

حتى بتعليقاتك الجاهزة على التوافه ، لأنّكِ ذلك النوع من الدليل ،

أنتِ :

حتى المصبّ ، سُفُلاً ، من القمَّة ، واغتيالُ كلّ تردّدٍ

بدءاً من العلامات الأوَّليَّة ، بدءاً

من ولادتها : تحسينُ الإصابة مع كلّ لحظةٍ

تمرقُ بينكما مجفلةً كالفريسةِ والاتّكالُ حتى النهاية على التيَّار .

شتاء في باريس قبل نهاية السنــة

في طريق عودته ِ كلَّ ليلة ٍ يمرُّ بالعاشقَيْن على مصطبة ٍ في البَرْد
مدخّنا ً ، متحاشيا ً إيَّاهما ، ناظرا ً بإجحاف ٍ إلى الأرض الرطبة حيث
تلمع الحَصْباء

أينمـــا التقى بهم في شـوارع بــاريس ، بدءا ً يغيظـــه العشَّـــاق ، كرهَ الحبَّ
مبذولا ً هكذا

مبذولا ً، مسمَّى، رُبَّما لأنَّ البرْد
يزيدُ شعورَهُ بالوحدة ِ والهزائمَ التي تتكوَّمْ في الزوايا
بين زجاجات ِ فودكا ومنافضَ مقلوبة ٍ على أذرعة ِ الكراسي ، أخذتْ
تتجلَّى بكلّ جُنونها
الآن ، في سلسلة ٍ لاتنقطعُ من الليالي : كتبٌ مفتوحة على وجهها ،
حذاء ملفوف بمجلَّة ، أسطوانةُ
لطَّخها الشراب، أراد أن يعودَ عن قراراته كلّها ويَنْسى
ويستسلم لدعوة المساء راغبا ً في أخطار التسكُّع من جديد ٍ حول
" قوس النّصر" المُضْاء

والفوانيس المزخرَفـة حيث يكثرُ ، هناكَ ، المُشاةُ وتأمُّلِ الثلج من

داخل مقهى :

الموظفونَ الصغار على المقْصف ، أريجُ المعاطف المبللّة ،

والضجيج ..

وفي أركانٍ محدَّدةٍ ، البغايا .

هناك تذكّر سارة . تذكّر سارة اليتيمة وأنفاسَها المبهورةَ هُناك

في ذلك الصباح المتألّق برَمْله الذهبيّ بين فخذيها على إحـدى

ضِفاف الفُرات

وديكاً أحمَر كان يصيحُ على قبَّة التَنّور ، عن بشائر اللذة الأوُلى في

عينيها الكبيرتين .

حدود

حيث كانت الشمس ُترقصُ على نوافذ قريةٍ ، ماءٍ يجري في

البساتين

لم يعُدْ سوى نهرٍ من الرّمالِ المتخَمة حتى الاختلاجِ

بسُلطان المتاهة ، لا ينمو على ضفافه

سوى الزمان ، هُنا

خلفَ الحدود .

آثار العجلات تمتدُّ في الرمال صاعدةً

حتى الاحتجاب ، ثمّ تبدو على بُعْد سحيقٍ ثانيةً

خلفَ الحدودِ ، بين جدارين يلمُسانِ السماء ؛ هناكَ عُقابٌ طافٍ

كالسّادن المنسيّ في معبدٍ مهجورٍ على رأسِ الرَجُل العابرِ

تحت جسورٍ من السَّرابِ لم يدشّنها أحَـد

عَبْرَ سُلّم أفُقيّ من الكُثبان ، يسفُّ قليلاً

ليُعاينَ سحليَّةً تجري في ظلّ جناحيهِ ، أوتادَ خيمةٍ ، عُلَبا ً

مثقوبةً تختزن الصدأ أو عظامَ مهرِّبٍ ، حَيَوان ..

تحت خِرْقةٍ تَمَسْمَرَتْ بالأشواك مثلَ رايةٍ

ينامُ الأفعوانُ على شكلِ عقدة .

الآبارُ الأرتوازيةُ اليابسة تؤوي بعضَ الجنادبِ

في المساء ، والريحُ ساهمةٌ

تمضي لحالها ؛

الساعةُ عاريةٌ تتنكّبُ الفراق .

هنا يُقاطِعُ الرّجل هذيانَ العُقاب .

أمثولة الماضي

(لوحة لم تُوْسَم)

إنْ كانَ أسرفَ في هَدْركَ بين الطرُقات

على إسفلتِ الصُّدْفةِ الغبيَّة كما يفعل تُجَّارُ

النفط الباذخونَ بآبارهم أيّها الماضي ، إنْ كان

فرّطَ عقدكَ السْحريّ بطيشٍ لا يُضاهى ، فهو اليومَ يستَقصي

حتَّى النُّشارة

على أرضيَّة الذاكرة التي هجرَها الراقصونَ لتبوحَ لهُ

بسرّ صغيرٍ ، واليومَ تتّسعُ أمامَهُ الثغرة :

تنهضُ الأصواتُ

منِ القيعان ، من أفواهٍ

سَحقتْ أغانيها على أسنانها ما زالتْ تنادي

من بُحيرةٍ ولدتْهُ أمُّهُ على رمالها وقريةٍ نيرانُها من بعيدٍ

تُنيرُ بُرْجاً يحترقُ في حصارٍ ، نساؤها يولولنَ تحت جُدْرانِ البُيوت

بخُصْلات نافرةٍ يؤطّرُها اللّهيب .

أمامَ مسافةٍ تحفرُ نفسَها ، أمامَ قُبْلةِ

المستقبل الذئبيَّة الأسنان ، سيعودُ مِراراً

ويعبُر من هُنا ، عند مُعَلَّق النِّياطِ تماماً ، فوق شَعَفَةِ القلبِ المُنيرة ، في الشَّبِّ الأزرقِ ، في الزّاج ..

حانَ لهُ أن يستريحَ الآن

جوارَ قطعةٍ من أثاثكَ المقدَّسِ البالِي

تَصلُحُ عَرْشاً لمنفضةٍ مليئةٍ ، أن يبدأ من جديدٍ

عارفاً حقيقةَ الوضْع : المَرْسَمُ خالٍ في ساعة الغُروب الأُولى

حقيبتُه الرثةُ على السرير

تتلقّى الشعاعَ النازلَ من كوَّةٍ في السَّقْف

عارفاً بما يسلّيهِ ويرعبهُ ؛ اللحظةُ المشقوقة كجلْد الثَّمَرة

يحفرها الصمتُ بزوجٍ من المخَالب ، في المساء المُطلّ بتراتيبهِ

أو النهار الذي يغيبُ متعجّلاً

حتى يبدأ بتقليب صفَحاتكَ الصابرة

مترعاً بالإصغاءِ ، أكثرُ من أنْ يأبه بأنْ يَرى ، جَنْبَ الخِرقة والسكّين .

وفي كلّ مكانٍ ما تراهُ العينُ تراهُ ، ويَبْقى .

بعد لأي

(أمثولة ابي تمام)

ألذ مُصافاةً من الظلّ في الضُحَى

أبو تمّام

((لأى)) يلأى لأياً : أبطأ واحتبس .

ألأى إلاء : وقعَ في اللأواء أي الشدّة والمحنة .

((التأى)) التئاء : أبطأ . ضاق عيشهُ وأفلسَ .

المنجد

كمنْ يبحثُ عن الخاتَم في بطْنِ سَمكةٍ

لا شيء سيثنيهِ عن نَيْل مَرامِه ، لا أحدَ سيثنيهِ

وإنْ كان الشَرَكُ واضحاً للعِيان : إذا كانتِ الكلماتُ خرزاً

أين الخيطُ ، وبماذا تفتله ؟ المجهولُ لن يُستَضافَ

أمّا الخسارةُ ، فضريبتها ولكنْ لا نُقِمْ لها وليمة .

كما قد تُعرفُ الهالةُ بالمصْباحِ ، بأنني

ولكنْ بعدَ لأيٍ ، هذه الأبياتُ ، مشدودةَ الأعناقِ

إلى غِيابها ، وعندما تعبُرُ في قلبِ الزّحام مرهَفةً

حتى الجنون ، تنحني الأشجارُ لهذه الحَرْبةِ من الموسيقا .

فهمُكَ للسلطان ، يُقرفني ..

السيفُ يفضّلُ أن يبقى في غِمْدهِ

الأوثانُ تتنبأّ، من وَجيبِ المَصْلى ، بأشراكها

حُدْ عن طرَف الموكبِ المُوالي ، أشِحْ بطَرْفِكَ عن مَرأى « الوليمة » .

عندما تعبرُ في قلب الزحام ، ينحني لها

عابرو السبيلِ ، والسلطانُ في قصره ينحني

كأنَّه تلقّى طعنَةَ خِنْجرٍ من الوراء : سيعبرُ الشوقُ البربريُّ

ولن توقفهُ أوامري : له أنهارٌ ستجري ، آثارٌ ستُمْحى

سأريكَ صورةً للسلطانِ ، أخرى .

الليلُ جَنَّ : من عُنقِ السِّراجِ يَثِبُ الأوارُ ، في مهبِّ أيَّةِ ريحٍ ؟

وعلى ضوئه هاك حقيقةً صُغرى : إنّها الحربُ وهو الذاهبُ إليها

ليسَ أقلّ في شجاعتهِ من بطلٍ ، شديدِ الحُمْقِ انتهى

لتوّهِ من سَبْكِ سلاحهِ ، لكنْ بلا تِرْسٍ لوقايته فهذه حربٌ

خفيَّةٌ على العَيْن ، وجراحُها لا يمكنُ أن تُتَّقى

أنا أبو تمَّام أقولُ لا تدفنوا الجنينَ ، في بئو أبيه
لا تتبعوا الطبل ، وحيث المجدُ طاووسٌ يتملَّى ، لنْ
تستسيغَ الكلماتُ طعْمَ ذلها ؛ العرْشُ الخشبيُّ إذ يَغرقُ ، لا يخلّفُ
إلاّ
دُوَّامةً ضئيلة .
ما الفائدة :
كلُّ بنكٍ محصَّنٍ يخلُق جيلاً جديداً من اللُّصوص .
الترابُ لا يذكرُ ألقابَ الجُمْجمة .

هيَ البحْر . غرَقٌ من أندرِ ما يكون . هيَ أو هو ، الذئبُ
والغابةُ ، ما الفرقُ وأنتَ في البحر ما الفرقُ وأنت في الغابة :
الذئبُ في الحالينِ جريح .

إذا كنتَ جريئاً ، إذا كنت رجُلاً ، إظهرْ في العرَاء
إذا كنتَ وحشاً ادفعني بلُهاثِك ، إذا كنتَ غابةً أعطني ورَقة
إذا كنتَ صورةً فاعطني الصورة : ظُلماتٌ ، حرّاسُها
على كلّ مدخلٍ تنِّينٌ حيٌّ يُرزَقُ
وهو من ورَقِ المُقوَّى ..

هذا الصيَّادُ الذي يُريكَ شَركاً
وتعرفهُ داهيةً في نَصْبِ شِراكهِ ، لا يثوقَ لهُ
ولا شيءَ يُعلنُ عنهُ ، لكنّ علاماتِه في كلّ مكانٍ

تستدرُّ البريقَ حتى من الحجَر ، حتى من الأزرار القليلة
في سُترة جارك البخيلِ عندما يكنسُ أمامَ تنوره الخاوي ، بقيَّةً
من الحَطب
مجيئُه حدَثٌ لا يُبارى
آياتُه سريعةٌ كالبَرق ومن صفاتِه
أنّه أعمى لا يُفرّقُ بين العدوّ والصدِّيق

يُمكنُ التّخلّي عنه بيُسْرٍ ، لكنْ أرني مَنْ يتخلّى

ها هي أبياتُه تتحسَّبُ عطاءَها . وكلُّ بيتٍ رسولٌ آتٍ
من بعيدٍ ، يَعرُفُ الطريقَ إلينا
ولا نَجهلُ الطريقَ إليه .

بيننا علاقةٌ قائمةٌ على الحرب والتجارة .
لكنَّها وفيَّة : أحَدُ الأبيات يَعِدُني بالمجيء إذا قُمْتُ من أجْله
بخِدْمةٍ .

قلتُ ما هي ، قال أنْ تخرجَ فتمشي .
لَبسْتُ عباءَتي الليليَّةَ وانتعلتُ خُفّي وخرجتُ فمشيتُ قليلاً
في البرْد المَرير ، ثمَّ عُدت إلى الغرفة
ووَفَى البيتُ بوعدِهِ

جاءَني

حتى قبل أن افتحَ هذا الكُتَيب متجرِّداً من كلّ مقاومةٍ

ليكونَ رَهْنَ إشارتي .

لكلْ مَنْ في الصَّحْراءِ طافوا

تمنحُ الأشجارُ حلاوةَ النَشوْة

حتّى يُصارَ إلى بناءِ أكثرَ من مدينة

وليم بليك

صديق الستينات

رأيتهُ ينزل الدَرَج المؤدّي إلى غرفة « سُعاد »
المُمرّضة التي تعطفُ على الشُّعراء المفلسين في مقهاهُم المتواضع
قريباً
من غرفتها، حيث يجلسونَ قبالةَ ساقيةٍ
من الوحولِ تجري وسْطَ الزقاق .
الممّرضة الليليّة ذاتُ الحذاء الأبيض الحزين ،
البغيّ المتساهلة في النهار، « سعاد »
وحيّاني شاردَ الذهن ومن بعيدٍ ، بإيماءةٍ باهتة
هوَ الذي قضى معظمَ النهار يُحاصرني
على أريكة المقهى لأسلّفَهُ نصفَ دينارٍ ، متحسَساً بُقْجةَ
صغيرةً جاء بها قبل ساعاتٍ من السجن
كلَّما روى قصّة اعتقالهِ الأخير في الليل ، وروى
عن مطابعَ تُهرَّبُ بين السراديب ، رجالٍ دُفِنوا وهُمْ أحياء
شعاراتٍ تُوَشُّ في الليل ، بمنفاخ درّاجةٍ ، على الجُدران وعن
أحلامه بالثأر

في زنزانتهِ ، بامرأةٍ لإثبات رجولته مهما كانت الوسيلة ثمَّ أراني
في ظَهْره آثاراً خلّفتْها أسلاك الكهرباءِ

رغمَ أنّ عنقهُ المهتزّة من مركزٍ في النقرة كلّما

توقّفَ عن الحديث ، تكفي

وتكفي إيماءاتُهُ اللاإراديَّة ُ الناتجة من ضَرَبات جَلاَّد.

رأيته ينزل الدرج المؤدّي ، غيرَ آبهٍ

بشظايا الزجاج ولا بالدمية المكسورة أو الملاط المتهافتِ على ياقتِه

من الجدار، يَدُهُ في جيبهِ ، وعلى وجهه المرفوعِ بحدَّةٍ

لسَحْبِ النفَس الأوَّلِ من سيجارةٍ أُولى

يتلقَّى الشمسَ الغائصة بين منارتين وراءَ دجلة

كأيِّ فاتحٍ عاد منصوراً من معاركهِ ، متدثِراً

بجُلود الذئاب.

إلى الحالمين في ليلة ماطرة

تنبهتُ بعد أن حلمت لساعاتٍ ، قائلا ً لنفسي وما الفائدة ، هذه الأحلام جميلة لكنها، ما إن تهب من جهة « الواقع » – تلك الجهة المكرسة للخسة اليومية وأمتيازات الدناءة ، ريحٌ صغيرة حتى تهرب كالبخار ومثلهُ تمّحي في الفضاء أو تكاد: أمام هذا الكلب الأجرب، المعروف بشراستهِ تقف الروح على غصنها المعتاد بوجل عصفورٍ يلبث متوجساً من محيطه، دائماً على أهبةٍ ؛ قطة تتربص في الأسفل منشورة المخالب ، عقاب غاضب لربما، مطويا ً كالحربة الحجرية ، ينقضّ على رأسه ، من الأعلى؟ طريقة فعالة جدا ً في هدر الزمن وإفراغ اللحظة من حريرها الثمين؛ باب مضاء تفتحهُ في أخر الزقاق، أو إن كلبك الآتي من أعماق الزمن يلعق يديك في شتاء من شتاءات الطفولة ، وتمسد أضلاعهُ الناتئة كالأصابع في قفازٍ بليلٍ ، كما الآن..

لعلها صورة الحب، هذهِ الشرفات المفتوحة في الصخر، لعلهُ المطر العازف على السقف ألحانهُ المسمارية الرتيبة ، صورة الحب تمّون الروحَ بوجباتها ، تغذي الروحَ قليلاً فهي لاتطيق أن تراها ساهرةً وحدها في الظلام كعشيقةٍ مهجورةٍ ، اختر أذا ً : إنها طوال الليل تناجيك هكذا فالروح لاتُحب إلا الحالمين .

زفاف في تبة (*) كركوك

عائداً من السجن أو من رحلةٍ طويلة ، بعد الغرق الطويل في المكتبة العامة، الجوَلان.. على طول السكة الحديدية ، من قلب المدينة إلى ضواحيها الشمالية، في الطريق الى البيت ، فردوس الفقراء الصاخبُ ، فجأةً، في أعالي التبة: أهناك قمرٌ؟ ونجوم كبيرةٌ تخفق كأجفان كائنات من الثلج ترن تحتها أصوات الملاعق على الصحون ، وطَرقُ الكؤوس في سلسلةٍ لاتنتهي من الأنخاب . أطرافُ الظلام مزدانةٌ بالفوانيس المعلقة من حبال الغسيل ؛ في حَلبة الرقص يتصاعدُ الغبار.

عاملُ المصافي الأعزبُ ذو الأصابع الناقصة ، يكشفُ للنساء المتفرجات عن مواهبهِ الخفية ، في رقصة أحاديةٍ مفاجئةٍ ويائسةٍ ، بساقين تطعنان الهواء كالفرَس الجريح .

بين قدمي عازف الزُرنة المارد ورفيقهِ الطبل ، يلطأ الأطفال في دورانهم كأنما بين أعمدة، كل طفلٍ خذروفٌ بشري أباحت لهُ المناسبة نعمة الهيجان ، يدوّم حول مائدة العروس (بقرةٌ في أكتنازها ، لكن لها وجه ملاكٍ) وأمام صف عجائز عمشاواتٍ يجلسن كالخفافيش في الكراسي الأمامية ، تنحني أحداهن فجأةً الى الأمام بسرعة العُقاب لتنشب خطاطفَ أصابعها في ظهر صبي ضاحكٍ ربما لكمها بحقيبةٍ مدرسيةٍ مازال يحملها ، كخرج

الراعـي، بحـزامٍ حول الرقبة ينفلت منها بمهـــارةٍ ليستأنف دورانهُ حول الحلبـة بعيـداً عن شفتيّ الموميـاء التي تهّس كالأفعـى المجفلة وراءهُ ، في اللثـة دائمـاً سن طويلة كمشنقةٍ تنحنـي على رابية متحدية سقوطها خلفـاً الى الهوة التي يصدر عنها الهسيس ، يتعثر بها اللسـان المتعـب وينسحب بشكل عشوائي إلى الوراء، في محاولتهِ للكلام.

---

* تبة : تل صغير أو هضبة ، في اللهجة التركمانية.

حياة الميكانيك عبد الهادي من باب الشيخ

(رجل من الستينات)

في أحلامهِ هذهِ البندقية اللامعة الثقيلة تسوق كل شيءٍ نحو حفوة مضيئة تحت جبينهِ ، بالعرق اليومي ملأى ، فيسكر أمام البندقية .

في أحلامهِ ويقظتهِ ، البندقية .

كان يسكرُ أمامها .

يُقهقهُ لها بضعفٍ آخر الليل

أو يتجشأ مهدداً في وجه البندقية.

يذهبُ في الصبلح الى سقيفةٍ كانت اسطبلاً في فترةٍ ما ، تفوح برائحة الزيوت الميتة حيث يصلّح سيارات الضباط ، وموظفي الحكومة الموسرَين .. بالبول أيضاً، لأن الخيول العثمانية مازالت تتبول في الليل على آلات التشحيم المكشرة في الأركان بأسنانها البليدة ، وتختفي بالتبن ، تاركة عبرهُ سيولاً

الليلة الماطرة للسكْر الأنتحاري على عَرقَ «الزحلاوي » الرخيص، يُقرب من فوهة إحدى قنانيهِ، بعد أن تفرغ، عودُ ثقابٍ مشتعل كما لو كانت فتيلة ، فتندلع شرارة كحولية زرقاء ، صافرةً بانفجار مباغت ، في الهواء – وللعودة مع أصدقائهِ المفلسين تحت القناطر

في سوق « الشورجة » الفلوغة ، يركلون أقفال الدكاكين الكبيرة
المتدلية من « درّابات » الصفيح ، حتى باب الشيخ حيث الجرذان
منهمكة تغامر بين الصناديق المهشمة التي حُمّلت طماطم دافئة من
الريف، أو رؤوس لهانة ، في الصباح وتثير حيرتهُ بانهماكها ثم
يصحو عندما يفكر بدوريات الحرس الليلي وكم تبدو، في هذهِ
الأيام، وفيرة...

على النهر مظاهرة تسطع فيها قامات البنادق فجأة لكن

لتهبط هذهِ المرّة

ثقيلةً كمرساة السلطة: كسروا لهُ ذراعهُ اليمنى وكان يختبيء في بيت
الجيران حتى تنسى المدينة كدماتها أو تفي بديونها لبنوكٍ مجهولة ،
ثم وجد هذهِ المرأة واقفة ذات يوم ٍ كالقدر على المفرق في
« عقد النصارى »، بين طريقين لايعرف أيهما طريقهُ، بوجهها الصابر
وعباءتها الخفاقة في مهب الريح والمواصلات ، بين ذراعيها موانيء
تصدأ فيها السفن بانتظار البحّارة ، لكنهما مفتوحتان بغيرة أم تختار
ابنها المفضل لأشق المهمات ، وإذا بهِ ينحدر في هدوء كسيارةٍ بلا
سائقٍ نحو هوة ذراعيها حيث كان بانتظارهِ 3 أولاد .

بُستان الآشوري المتقاعد

النجوم تنطفئ فوق سقوف كركوك وتُلقي

الأفلاك برماحها العمياء ، إلى آبار النفط المشتعلة

في الهواء ، إلى كلبٍ ينبح في الليل، مقيداً الى المزراب ، حُزناً ؟

أو رُعباً أو ندماً، وضفادع تجثم على أعراشها الآسنة

في بستانٍ مهجورٍ عندما

تشق حجاب الليل صرخةٌ مقهورةٌ، إنهُ .. الآشوري المتقاعد يقلعُ

ضرسهُ

المنخور بخيطٍ مشمعٍ يربطهُ إلى أكرة الباب

ثم يرفس البابَ بكل قواهُ مترنحاً

وهو يئن ، مغمض العينين ، إلى الوراء.

زائر الصباح

يقترب العصفور من المنقلة التي تركتُها في الباحة

مليئة برمادٍ أبيض بعد مطرةٍ البارحةٍ ، متطلعاً إلى جانبيهِ

مرة، مرتين ، ثلاثاً..

على حافتها يُذرذرُ بمنقارهِ بعض الرماد

حتى يعثر على نتفةٍ لحم محروقةٍ غطاها الرمادُ ، بقيت من وليمةٍ

منسيةٍ تماماً ويطير بها

إلى الشجرة المتهالكة على بقايا السياج ، ليختفي بين أوراقها

القليلة.

نشيد الى مدينة مسْتعادة

قاتلة القصائد بكل الوسائل الممكنة ، قابلةَ
للمناسبات والصدف الكريمة (كم من الولادات جَرَتْ
بين يديها ، وكم صرخةً أخرجتها من بيتها إلى المدى) أنتِ التي
تشدني
كمرساةٍ عبر العوالم ، لم أنل منكِ كفايتي وها أنا
أعود إلى شوارعك الجميلة ، باختياري .

في فضائكِ الحامل بأشلاءِ النبوءاتِ
مزابلك الآهلة حيث يعثرون أحياناً على الأجنة
في طينتك النهائية حيث الوجوه البلهاء بآلافها
تَعبدُ فانوساً يُحشرجُ في شرفة النجمة
السينمائية المنتحرة بحبوب نومها ، ويقودني التأمل في معنى
تائهٍ من معانيكِ إلى ذلك الهدوء المعلّق من طرف العاصفة
كجائزة السباق، هناك تدور السيارات بوجهي
ملتحماً وسط الدخان بوجوه عابريّ
السبيل ، تحتَ غيومكِ الوردية الملوثة بالسخام ، هكذا
كرأس وثني قُيِدَ إلى عجلةٍ يدور في صحن إطاراتها
المجلوة كالمرايا.

هناكَ تعصرين السوداء فوق الرؤوس بسخاء من إسفنجةٍ مجهولة

ولكِ صنارةٌ عالقةٌ دائماً

مثلَ وعدٍ في هوائي ، حين أمرّ

وأحسد السكير النائم في كابينة الهاتف

وسط الضجيج المتسرب من حفلاتِ الموسرين، محروساً بشخيرهِ

تُطلُ من جيب معطفهِ جريدةٌ

محروراً بحمّى قصيدةٍ تتهدمُ في يدي ، طالقاً

أو طريدةً لا أدري ، عاريةً لا أدري ، كم مرة في اليوم ..

لكنها كالعاشق الغبي المتفائل بجراحهِ ، لاتكفُ عن العودة ثانيةً

الى مداها . لاتكفُ عن العودةِ ثانيةً الى مداها.

الإبتسامة

عاملة المقهى اللندنية ذاتُ الحركات السينمائية المفتعلة ولكن المثيرة ، تخدم الجميعَ أطباقاً عامرة من تمارينها في الغنج أمام المرآة ، إلايّ وأصدقائي . في محيط نظراتنا الملهمة إلى نهديها الناضجين، يحدثُ شيءٌ للإبتسامة : تُختَصرُ بسرعة . بدءاً من زاويةٍ في فمها المنفرج ، الأبيّ ولكن الموحي في نفس الوقت بقدرةٍ كامنةٍ على البذخ حتى العبودية ، ترفرفُ قليلاً، أشبهُ بفراشةٍ طعنتها إبرة، ثم لاتلبثُ أن تنسى حتى الرّفيف ، وهذا هو سر أرتباكها : ممارسة الحب بالعيون فن معقدُ، وهو وقفٌ على الشرق .

امام منحوتة في قسم الآشوريات بالمتحف البريطاني

جنديً يُدحرجُ برمحهِ الطويل سُلما ينغلُ بالأعداء
عن جدار القلعة البابلية، الى النهر الهادىء في الاسفل حيث تنتظرُ
الأسماك بأفواه جذلى وصولَهم ، ومن شوارب الجُرّي المتموجة
افقياً في الماء
نرى التيار ونعرفُ بأي اتجاه يسري في الحجَر.
قَدَمٌ لمردوخ، لم تتمكن حتى تياماتُ من اسرها
أصابع من يد عُشتار، بقايا من بوابة نركال، وخلفَ الزجاج
هذه الحجارةُ المقدسة ، كم صلوا لها في أريدو ..
مجبولة من غرين الفرات ودجلة .
أما راعيها الحالي فهذا الحارسُ المأجور، وليس سَمُوقان .
عندما لا تنامين ، وقد حُرمَ عليكِ مذاقُ الراحة
بسببِ الضوضاء الملعونة في الأعلى ، من هذه البشرية الغريبة
وآلاتِها

لمن تسردينَ متاعبك الان ، وأينَ ربةٌ العالم السفلي ، أنوناكي ؟
أينَ مياهُ الأبسو، ولوح المصائر ، أين المُحارب المجنون إيرا

يَركع عند قدميه الأمراء ؟

ماذا رأيتِ يا عيون السومريين الكبيرة ، أيُ لص تبت يداهُ

أتى بك الى هذه الجزيرة ، من سيخشعُ لكِ في هذا السرداب ؟

أي لص في أي ليل بهيمٍ ، أتى بكِ الى هذا المكان ؟

تلميذة من بيركيلي

كانت تأخذه الى الجسر

الخشبي الصغير باتجاه برج الجامعة

وساعته المضاءة ، بين الأشجار ، إلى كافيتيريا الليل

ثم بعد الجَولان ، إلى غرفتها الخانقة : منهدة

معلقةٌ في النافذة ، جوربان يخفقان لأتفه نَسمة ..

تنزع الدبابيس من شعرها الذهبي لينسدل على ظهرها

وتسقط ملابسها على الأرض أو ترمي بها الى الزوايا لتبقى

بكيلوتها الأسود كراية قرصان تشق بحر الهواء .

في المدرسة الليلية تتعلم الكومبيوتر ، واقتنت ببغاء

سمتها السندباد .

تحت السرير كتبٌ مفتوحةٌ يغطيها الغبار .

عندما تغسل أشياءها في مغسلةٍ

مائلةٍ يأكل انابيبها صدأ طافحٌ كالزمرد الفاسد ، أو نوع

من المرجان ، حافية ، منحنية ، يخفق القلب لها

كالشجرة ، وللزمرد ، آنذاك : طيور بدأت في أغصانها ، وإلا

فريح شاردة ، بالحرّاك .

إنتهاء العلاقة

حُبها يبدأ يوما بعد يومٍ ، ساعةً بعد ساعة

بالإنقلاب إلى خارطةٍ أليفة

ويطوي المكتشفُ خَيمَتهُ

على حُدود الجُرف الأخير

في قارةٍ أُتم اكتشافها..

ذلك الحَوَر الذي أغراهُ بها منذ البداية

لم يعد يصيبهُ برميةٍ واحدةٍ في القلب.

كل شهقةٍ تهربُ حولَ كتفيها

وكانت أسيرةً

في المناجم ، معقل الرغبات

كل إباحةٍ جديدةٍ للخفايا ، مجردُ رهانٍ على الماضي

في هذهِ الأيام .

قصيدة الفراق

على طول جدار الظلام حيثُ يتربصُ بنا خطرٌ

داهمٌ أو ممالٌ خاطيءٌ

أضواء سيارةٍ

فِكرة

إشاراتٌ

فرَّد أصلها أُولئك الذين تلقوها

وأثبتَ بطلانها

منْ أعمت أبصارَهمْ

بِسحرها

هدية لن يستحقها، كل من تلقاها بيدين لم تجمدا

في هيئة الصلاة، فراقُها وسيرُها

على طولِ جدار الظلام وبالتدريج ابتعادُها

عن عامودٍ للنُّورِ يقفُ تحتَهُ الرجُلُ ، في زقاقٍ متعرجٍ يخفقُ
بصَيْحاتِ غَرقى

كأنَّه يتوازَنُ برمَّتهِ

على نُقطةِ الضوءِ التي تَنوصُ في نهايتهِ

دونَ أن تدخلَهُ ، صَعْبَةَ المَنالَ كإحدى الأميراتِ

حتَّى النهاية.

هذا الصباح

إذا فتحتَ النافذة ، تأتيكَ أصواتُ المُظاهرة

باليونانيَّة من مكبِّرات الصَّوت، شِعاراتٌ كالأشرعة ثقبتُ في أماكن

لمقاومة الرّيح

تُندّد بالعُمَلاء ، يسقطُ باباندريوس ، أطلقوا سراحَ رَجُلٍ اسمُه

فُلان..

هذا الصباحُ إذاً قنِّينةٌ تطيرُ، بيضةٌ فاسدةٌ تسقطُ على الرَّصيف.

يَدُكَ المستلقيةُ إلى جانبكَ في السّرير

تستيقظُ كحيوانٍ شَمَّ ينابيعَ الغريزةِ وحنَّ إلى التَّخْريب.

رجُلٌ يذهب الى العمل

قبلَ أن يَنتفضَ الدَّماغُ ، قبلَ أن تتصاعَدّ مِنهُ آخِرُ الأبخِرة

قبلَ أن تنفضَ خلاياهُ رَحيقَ الحُلم الطريد، سلكِّيراً في نَومةِ الفَجَّرِ ،

كَلباً

يتثاءبُ على العتبة مهزوزَ الحركات، متعثّراً يسحبهُ جوعُهُ كالحَبْلِ

الى العَالمِ ، قبلَ ان تتصلَّدَ الأطياف

ومُسوخُ نومه تتراجعُ إلى ثقوبها ، قبل أن يرتدي ثيابَهُ

ويتركَ وجهَهُ العاري في مكانِه على رفٍّ خياليٍّ لايطالُهُ إلاّ

في الظلام ، قبل أن يخرج وَيصْفقَ خلفَهُ الباب

تهيَّئُ المدينةُ، مَسْعورةً، أمامَهُ ، لهذا النَّهار

مَجْزرَةً أخرى يَتَّخَذ فيها مَكانَ الشَّرف :

الضحيَّة.

مَنْ يُغيِّرهُ ؟ تحتَ أيّةِ رايةٍ خَرقاءَ للحاجةِ الزَريَّةِ ، اليومَ أيضاً،

سيَمشي؟

الشرفة

كثيراً ما رأيتُه ينهضُ متثاقلاً من الكرسيّ ليلتقط صحيفتَهُ ،

تاركاً كأسهُ على الطاولة في زاوية الشُّرفة

لكنَّه اليومَ أسرعَ إلى الداخل (حيَّاني بوقارٍ حينَ رآني)

ورأيتهُ يتنقَّل بسرواله الداخليّ وراءَ النافذة ، بين الدُّولابِ والجدار.

هناكَ جلس جاري اليونانيُّ يدخِّنُ بلا توقُّفٍ سجائرَ الفلتَو

وخُيِّل إليَّ أنه يبكي محاوراً بأصابعه الهواء

يريد أن يحمل السِّيجارةَ التي

ترسمُ في العُتمة الباكرة

خطوطاً عشوائيَّة لأفكاره بجمرتها المتنقِّلة ، على الاستجابة!

يتصيَّدُ بادرةً، يبحث عن تشجيع : ألمٌ ، في الخفاءِ، كمثل كَلابةٍ،

يَلويهِ ، هو المسمار.

لكن التَبغَ المكفَّنَ بالورَق

كان يفضّل صفةَ الأفعى التي تتحوَّلُ دخاناً

والدخانُ الذي كان أفعىً قبل ثوانٍ، يريد الآنَ أن يَلمَسَ السقف

حيث يتباطأُ بأهابِ غيمةٍ تتعقَّن على السَجيَّة ، ينظرُ إليها اليونانيّ

بعينيه الصريحتين

من الأسفلِ حيثُ يجلسُ قربَ النافذة.

في السَّاحة في النهار

متسوّلةٌ صغيرةٌ من غَجر أثينا

يُطلِقُ سَراحها شرطيٌّ نحيل يتّكئُ على كشك الصُّحف

حيث تحتمي كَلّبةٌ وجراؤُها الثلاثة

بَعدَ أن تحسَّس بَكلتَا يَديهِ

وتفحّصَ متأنياً

كلَّ طيّةٍ من طيَّاتِ ثوبها الكثيرة

بعينيه .

الحياة قرب الاكروبول

أذهبُ الآنَ وحدي في طريق المكالمة الصعبة مع من كنتُ قبلَ
قليلٍ والعودةِ إلى كأنَّما، العودةِ إلى إلى ، عندما أطلّتْ تأمُّلي في
الهوّة
عندما رفض الوقتُ طيلة مساءٍ كاملٍ أن يكون مُنقذي ، وبعد أن
ربطتُ لدوَّامة إلى
وتدِ الذهول لأنَّ هذا مافعلتِه بي ، في حُبّكِ المجنون ، وطويتُها
كالمنديل من الأطراف؛ بأعذارٍ مبهَمةٍ أغادرُ في المساءِ
سائراً بين أزقَّة أثينا الحجريَّة بلا غايةٍ محدَّدة
والشوارعُ غامضةٌ في امتدادها ، لها قفارُها :
في الهواء الزمرّديّ تسبحُ بعضُ النوارس ، وإذ تهبُّ غافلةً
من المتوسّط القريب ، ريحٌ مينائيَةٌ ساخنةٌ، تُفرقعُ طياراتُ الأطفال
الورَقيّة

أسيرةٌ بين أسلاك الكهرباء..

حتى يَسيحَ شَعري بالنَّدى المذروف من عُذوقِ الأكواخ الصاعدة

لولبيّاً إلى بَطنِ الظلام الكبيرة

تحت الأكروبول ، دون أن أرتقي الأدراجَ نحو الأعمدة

الرُّخاميَّة البيضاءِ الخَربة حيث تعيشُ آلة آستنساخ الأطيافِ

الأثريَّةِ لاجتذاب السوّاح، وكلَّما تقلَّبَ في نومه الحجريّ إلهٌ

يونانيٌّ هناك ، ذهبَ النسيمُ ليشحذَ مرثيَّةً من الأوراق ، بل كنتُ

أصغي

إلى حفيفها الشاكي لساعاتٍ ، يأتي إليَّ مختلطاً بأنين القِطَط

المُستَنفِرة

في هياجها القمريِّ على السطوح ، قبل أن آخذَ الباصَ عائداً إلى

الشقَّة حيث ترقدينَ ساهرةً بانتظاري.

جسدٌ قريبٌ

من أجل أن نَعبرَك ، كَمْ من الأبناءِ سَهروا عَبثاً

وكَمْ من الأمَّهاتَ بَكين .

كم عروساً عاشتْ عانساً حتى موتها

لكي تكونَ لنا أيُّها البَحْر.

فرناندو بيسَوا

(محيط برتغالي)

في الغسق المستعدّ لبريقٍ طويلٍ سيُجهرُ عن افعالهِ..

من هُبوب الافكار الضالَّة بين الحِراب ، من عُرفِ أجيالٍ

منسيَّةٍ في قلب إشراقةٍ

حيث الرأسُ بُرجٌ مهاجَمٌ ، تنهضُ هذه الموجةُ وأركبُ

عُرفَها المرتجف لنفتح ثَغرةً

في جداركِ بحَجم الوليد؛ بين غلالاتٍ غير مرئيَّةٍ

في الطريق إلى جبلٍ أومغارةٍ ، تحت النُّجوم الصابرة كأثداءِ

المُرضِعات

بأحذيةٍ لاتكادُ تُلامسُ التُّراب

وركبةٍ لا تنحني أمامَ أحَد

هو الذي عاش بالجليد

سينتهي في اللَّهيب.

النظرةُ الأولى، قرابةُ الملح، عناقٌ ماليسَ قريباً

ولايُطالُ بقصيدة

جَذريّة البُعْد.التملّصُ من سُرَى الوَحدةِ ، التخلُّص من سُرَاها

بأيَّةِ وسيلةٍ ، تَفجيراً على طول الطريق ، بَيعاً وشراءً لأنظمة التَّوازُنِ

تلفيقُها إذا أمكن . في السجن أوالشَّبَكة.

بين ذراعين اخوِتينِ ، وفيّتين.

زاويةٌ، بداية بانتظاركَ ، امرأةٌ

تُعلّمك اسرارَ الاستراحة.

كلُّ نَهرٍ ، في البدءِ ، كانَ قَطرة.

مَطرٌ يختفي فيه الضيوف.

من أوّل كلمةٍ ، على هذا الجانب من الأرق ، سياجاً بعدَ سياج.

الحروبُ، المجازرُ، اللّصوص.. لكَ هذا.

كلُّ هذا.بعضُ هذا.

لساعاتٍ كاملةٍ ـ احياناً لأيّام ـ تُهيمنُ حالةٌ من السَّكينة تبدو مقفرةً

حتَّى من حَفيف الكلِمـات

ثم تبدأ بإفراز علاماتِها هُنا وهُناك.

في غُرفٍ أكثرَ من موبوءة

يجبُ الإبقاءُ على الذاكرة بأبوابها المفتوحة على البحر.

تَنويمُ الأسطورة العابرة : أن نبقى.

بغريزة التَّوبة ، حِكْمة الحَذر المسافر: ليفيضَ دمُ الشهور.

لتشع من متاهات القِدَم كأسٌ

لراحةٍ مَمّدودةٍ .

الأدلاّءُ يختفون في الأحراش.

أهذهِ هي اللعنةُ التي طاردَتّ، عَبرَ العُصور، شاعراً

بعد شاعرٍ وتحدثّت عنها بإسهابٍ كتُبُ القدامى؟

سكنَ في مكانٍ، داعبَ اطفالاً، ضيّعَ وقتاً

أحبَّ..

الحبُّ ، طحَنهُ

الرَّحى ، أدارَها

ورأى، على جسَد الراقصةِ المتصببِ عرَقاً، كيفَ تحبّ الغلالة.

أهذا من..

أهذا من تمنَّى ومن عنَّى، لأنكِ لم تَظهري

الأعزَلُ إلاّ من غَيّمة الأنفاس

ذلكَ المُسَرنمُ، المغامِرُ ، العاري .. أبهذا الفانوس فتحَ مملكةً

غامضةَ المستقبل تلبسُ الحِمْلانَ للزينةِ في لياليها

وجَدَ هذه الحَربةَ في الشارع

وانسلَّ خفيةً من سريرهِ الحجريِّ في الكَهف

سائِراً نحو الوَهيج ؟

كلُّ كلامٍ تلويحٌ وفراقٌ

في هذا البُستان، ومائدةٌ تكنسها الرِّيح.

أملٌ ضدَّهُ الكثير: كأنْ نَتوفعَ بَيدقاً إلى مقام المَلِكة.

السُمُّ سرَى في جسَد النرجسيّ من البوكة الميِّتة ، والأفعى تتكوّر

تحتَ جدارٍ

في ضوء القمرِ: لن يَجدَ المِرقاةً لتوصلَهُ بالأغصانِ

ومن أخطائهِ ، لاشئ سيَعصمهُ.

نَظرةٌ ألِفَت قُربى الأعاجيب ؟

أقصى مايمكن ان يحدثَ هو الواقع .

لامعجزةٌ تُجتَرَحُ من الهَواء ، لااختراقات غيرَ معقولة لحِجابِ

المَعْروف.

في اللّحم، في اللّحم يا صديقي .

انتَ بحاجَةٍ الى الخطيئة.

الصرخةُ المزروعةُ في الكَتِفِ كراية: إنّها هُنا أيضاً

تُشاورُ الحافّة الجانبية لأحَدِ الآباء

سُعالهُ النفقيُّ يغفرُ للتبغ أمجادَهُ المُلتوية

لكنّه يُقطّبُ كنصيحةٍ

وليسَ غيره من يَسمحُ بإشعال المرافئ .

عندما تحتلُّ عاصفةٌ قصبةً، وحيدة ، شبراً من الثّواب

عندما تطالبُ بالطاعة من الأشجار

فتستجيبُ لها أعشاش مقتلَعة

أسرّةٌ مجهولةٌ بنائميها

على سُطوحَ بُيوتٍ تُسافِر

إقتَلِعْ، أنتَ أيضاً

فَمَكَ اللّعين.

إلقِ من النافذة بهذا القلَم " الرّزين ".

رَفسَةٌ كِيلَت الى الحنجرة

حطّمتْ في مَعبَدِ الكلام أصنامَهُ الجميلة.

على ضوء النيران

الصكُّ الذي لايأتي في البَريد الإلهي.

تَطَيُّرات. مشاريعُ بدأت بالتخثُّر. نُدرّةُ الحياةِ ، العالَمُ

الأصمّ . إذا كان فَمكَ يَعرفُ كلمةَ

الطاعة ، فخيرٌ له أن يَبقى

مُغْلقاً كالقَبر.

فرحٌ مجنونٌ لايَنصاعُ لأيَّةِ سُلطةٍ . فرحُ البَنّاءِ بمَرأى الحجارة.

ليس في الحُبّ مشورة: هذا السَّيلُ من الأشياءِ التي
لاتكفُّ عن الولادة ، كيفَ لاتتعبُ من سَيلانِها؟
أيّامٌ بلا أدلّةٍ ولا أحكام :
أخرج إلى الباحة.
شجرةُ التّنّوب ذاتُ المَدارج
والنُّجوم المتدلّية
كعُنقود من النُّوم.
الخفافيش المرهَفة كالأفكار تداعبُ بخفّةٍ هالاتِ المَصابيح.
في جَنينة الجيران طفلٌ يستلقي على ظهره
راكلاً مَهدَه الرّاسي كمركبٍ صغيرٍ على الأعشاب.
أرمي بالقلَم إلى سلّة المُهمَلات
فينكسرُ في الهواء ظَهرُ الفَواشة.
ذلكَ الخطّ الفضيُّ المتعرّجُ الذي يَبقى
من التئام جُرحٍ قديم. كيف يعاندني. هذا القِرد. ذلك الوَغْد..

الأملُ الذي عرّاهُ من لحمه الانتظار.
كان يتجاهل أنبهارَهُ العفويّ بكل شئ ،
يشربُ كأسَهُ ثم يضعُها على المائدة.
الموتُ، أو وسَطُ المُصيبة.
(وعندما انتفضت لمّا
رفضتْ كانَ أن تكونَ هُناك)

كتلك الأجنّة المُخَلّلة في قَوارير ِ المتاحف..

امرأةً جزمةً عسكريّةً ضَخمة في محطَّة قِطار

(فرانكفورت) تحملُ زجاجة شنابس فارغة

كالرضيعِ

بين ذراعيها.

فقَدَت..

جُنّت في الحَرب

بعد أن فقدت أطفالها..

نبضةٌ صغيرة بلا سلاحٍ تضبطُ إيقاعَ الدّمِ مثلَ خَليج.

في طريقهِ إلى الحفلة، شَربَ خَمرةَ المَساء الزرقاءَ الثقيلة

وقضى الليلَ يشخرُ عالياً تحتَ النُّجوم.

العُيونُ ، الأوراقُ المُبَعثَرة.

نمالٌ تحتشدُ على بلاط المطبخ.

حَيَاةٌ مُحِيت إلى النّصف

آثارُها في كلّ مكان.

براندَنبُرغ ، باروكةُ بَاخ

السُلّمُ الموسيقيّ ، نغمةٌ ألاحِقُهَا على بَسطاتِهِ

طافيةٌ كسُترة الغَريق.

بضعُ ياردات من الظلّ ، فخذاكَ من الحُمّى..

كَم ميتٌ في العائلة ،

ماحَجمُ وطَني:

لكَفُّ السّاحِرِ تَنزلقُ وراءَها العُصور..

في الطريقِ إليها

يأكلُ روثَ البِغالِ، يرى رُؤْيا

يَسْلخُ جِلْدَ الطبيعة وَ

لا، لمْ تَسْحَرْهُ بعَينيها

لكنَّه تَتبعَ عينيها حتى بلَدِ العِمْيان الأمين.

كان شحّاذاً أعادَ ترتيبَ النُّجوم المعطّلة وراءَ عينيه.

أرحامُ الأرامل المقيَّدة بقارب الصَّبْر.

وتوحّمَ، كأيِّ أعمى حَبلَ برايةٍ

بَيْضة البَحْر المُطْلَقة حيث يسهرُ الظلُّ بوجيبهِ الآلي.

حدثَ هذا في الأوديسةِ

إلى الدَّاخل إلى الدَّاخل ، وخُروجاً حتى عدالةِ التعرَّي..

وماذا يَبْقى؟

المَوْردُ الذي صادرَ بضاعَتَهُ إلى المِياه.

رداءٌ أبيض من الأوزو.

أبيقور يُصارحُ الأعمِدة.

بطّانيّةُ العُراة.

الأبوابُ معلَّقةٌ من ظلِّ مساميرها

جاءَ الطُّوفانُ مراراً. جاءتْ عدَّةُ عواصِف. تهدَّمتْ بيوتٌ عديدة.

على جَبَلٍ عالٍ من الهِجْرات

يسقط فانوسُ الأرملة

من أعلى الجدار إلى الخليج.

حيث الليلُ يستمني في ثأره على الزبَد.

لكنّ الحَصاةَ لاتفكّر بمجرى النّهر

الدّرعُ لايَقبلُ انْ

يَستَودعَ النّدى

لن نتراجعَ مطلقاً

حتى والجريحُ يتثاقلُ تحتَ المخدّر

هذه القريةُ في أمسياتها الثقيلة تعرفُ أنَّ شيطاناً

يدخلُ ليلاً إلى خُدودها

حُفرةٌ،

أبٌ يرقص على أطرافِها

بعدَ أن خَبأ أطفالهُ الستّة تحت لحيةَ الفقر

يرقصُ لأنه شمَّ كالفرَسِ المجربَّة

ريحاً تعصرُ القريةَ طيلةَ الليلِ على سياجٍ بَعيد

إلى أن تُغنّي

توأماً لِبابِ حَملتهُ عاصفة ـ

بعُشبها المُحترِق القَليل.

تَبدأ في مثال الرّجافة.

عمليةٌ نجهلُها تماماً

كإبرةٍ تخيطُنا ولانراها.

جنديٌ في نومه يُغافلُ أصداء

تُشرِقُ وتَنطفيء

حتى التهويمِ على النار التي تنبعُ من المِسَلّة..

أبعَدَ ، أبعدَ . ماذا تلمحُ ؟ ماذا ترى؟

انوارٌ كاشفةٌ تُصلِّبُ عالياً السقوف المهاجرة.

اسلحةٌ كثيرة.

نورسٌ ميِّتٌ على الكورنيش. امرأةٌ تنظرُ إلى الهواء فيلتهب.

بين ساقيها دَلتا ، في بطنها مِرساة.

يدُها بِساطُ الرِّيح

قلبهُا دمّرهُ الحبُّ الصادق.

رقيةٌ ضعيفةٌ في يدِها ، حجابٌ

لايُفيد ، لكنّ الألمَ يَسيلُ منها كالذهَبِ في أُخدود.

الشمسُ تكشفُ أنها بابٌ أمين.

ماذا ترى أيُّها الأفـّاق؟ ايةُ موجةٍ حملتكَ إلى هذا المكان؟

أغطي عيني بيدي في البعيد

وأرى إشاراتٍ قليلةٍ.

ظلُّ الشجرة الطالحة كثيفُ بالانتقام. هناك أسوارُ لم يَبنِها اَحَد.

الطاغية في الحَمّام، يُغنِّي.

السمكةُ والمَنجلُ. الخِصيَةُ والتِلسكوب. الحَدوةُ والمجَرّة.

الكأسُ فارغةٌ لامَحالة.

حقيقةٌ لايريدها احدٌ.

طـَعنةٌ في قلب الدُخانِ حيثُ لاتعيشُ سوى فِكرة.

لقاءٌ صامتٌ. في أكثر من غَابة.

رأدُ الضُحى.

حتّى والموتُ يملأ الطـُرُقات

هذه الأيام لنا ، أيامنا هُنا وقد سقطَ الذين..

لقد ماتوا.

لاتبحث عن عُدّة الصيّاد ، أو خرائط السِّفَر.

تـَضربُ طَبلَ الريح: النساءُ يُقبلِنَ هائجاتٍ ، والشِّعرُ تلبدَ بالعَرق ،

كالهواء.

في آخر الحُقولِ، جَسَدٌ قَريب.

الأول والتالي

الى أهلي في أرض الرافدين ..

الى أحيائي وأمواتي .

((الى ارض الاحياء ، تاقَ السيد للسفر))

جلجامش

(النص السومري)

سيدة الظل

أن تحيا

من يوم الى يومٍ، يوماً

ليس من الأيام ، في سنةٍ ليست من السنين

تسبح نحو شاطىء

كلما اقتربتَ منه ، صار ينأى

نحو شئ رأيتهُ

يتقلب في الظلمة كفانوس مركبٍ

عابر ويشير

أو يشتعل مثل ثقاب

يقاوم الانطفاء في مَسرب الريح ـ

بريق يسري وراء عينيك تستنير به

أشكال رؤاك ، بانتظار ان تندلع نارُ في

مخملْ أمسيةٍ ، أن ترى

في وهيجها كيف تأتي

سيدة الظل الى الحديقة ثانيةً

لتشرب مثل غزالةٍ من يديك

لتشرب من يديها نيران رحْمِها الزرقاء ـ

تولد الحديقة من خرائب ليلة

بينما جارتك الأرملة لاتكفّ عن الطوافِ

وراء شباكها ، ساهرة ً طوال الليل

مثلك ، عيناها

جمْرتان

وأنت قارىء عنيدُ ، وحيد مع الكلمات

لايستطيع ان ينام .

زحفتَ اليها في الكهوف ، ارتقيتَ الاعالي

نكّستَ من اجلها اعناق لياليك

وتركتَ قرابينك على الاعتاب..

اذا كانت حطباً، كُنْ

لها التنور، اذا كانت هي النارَ

فانت الاحتراقُ ، اذا كانت الشجرة

ما أنت سوى فأس عاديَة لكنها

لاتكلّ بسرعةٍ

وضرباتها عنيدة .

سِيَرُ البطولات ؟

نسيتَها

كتُبُ المؤرخين؟ بعتها باثمانٍ زهيدة.

على هذا إذاً على هذا

يعتمد الأمر الآن على هذا

على مدى سُراكُما أنتَ

وهذه الربة المخبولة

في هذا البحر ومداه حيث تُبلى قواربُ البحّارة

وكم تسخو به عليك من عطاياها

كامرأة مشغولةٍ لها جيشٌ من العشاق :

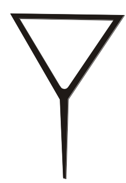
بغي تنقاد تارةً، وطوراً

قديسةً تعيش خلف ستارة

تأتي اليها بما رأيتَ

وما دهاك ، اين كنتَ ، لماذا أتيتَ

ومن دعاك...



حلم الطفولة

أية رغبةٍ كانت تأخذني

من يدي بين الفصول ، وماذا يدل خطايَ

على تلك البركة التي اندثرت في بلاد الطفولة

...نورُ البساتين وطينُ السواقي

ونسيمٌ يمر عليها

في الظهيرة ـ

يمر على بركة في الظهيرة

حيث ينام ثعبانُ كسولُ

يحب التمرغ في الشمس لساعاتٍ

كنت احيدُ عن طريقي

لأراهُ

يتألق وحيداً في عتمةِ الماء

أو يلتف مثل مسبحةٍ على تكيةٍ من الصلصال

في قاع بركة تظل رائقةً طالما الثعبان ينام ، تحت صخرة مائلةٍ

بالقرب من البحيرة...

كيف كان يجفلُ من نومه العميق

كأنما مسَّ البرق ، اذا داعبتهُ بغصنٍ اومسطرةٍ

أو أسقطتُ على ظَهرهِ قلماً أوحصاة !

هارباً نحو أقصى الزوايا

كزوبعة تمشط القاع ، وتجعل الشمسَ تختفي

من البركة

عندما يرتج لمروره الماءُ ، عندما يستيقظُ الطينُ

وتسري حالمةً، في إثره ، الأوشاب.

وأذكر صقراً كان يطيُر

حاملاً بين مخالبه سمكةً مازالت تحاول الإفلات .

حلمُ أبي

رأى أبي في حُلمهِ

كما يرى النائم ، ذاتَ ليلة

قدّيساً يملأ البابَ بقامته الوضيئة

له عينانِ من الجمر تدعوانه في الظلامِ

كلمهُ

لكن بصوت آمرٍ

بصوتٍ واثق من الطاعة

في دعوةٍ أو خطبٍ ، أو ربما في مهمةً..

ثم ذابت هيئتُه في عيني أبي

وغاب القديسُ كآثار نجمٍ صاعدٍ ، باتجاه الجنّة.

في الصباح الباكر و أولُ دُوريٍّ

ينفضُ عن جناحيه قطرة الندى الأولى

والنملةُ تسحبُ أول نواةٍ على الحصى المُطرّاة بالخطى

في ازقّة القرية ، تبعتُ أبي لنطرق على ابوابها

باباً بعد بابٍ، يفتح لنا عمّالٌ حفاةٌ، نساءٌ

ثاكلات أوحُبالى ، أطفالٌ في عيونهم رمدٌ ، شيوخٌ

راجفون في الزوايا ، وخلف استار المطابخ

أطيافُ عذارى...

يروي حلمَهُ مجنّحاً ، مجنّحاً بالدُعاء

يرويه وهو يلفُّ سجائرَه بوجهِ عائدٍ من الحربِ

يحدّقُ بدهشةٍ في ساقه المبتورة...

نسيَ ان يحلقَ لأيَامٍ

وكان عاطلاً عن العمل طيلة التاريخ

وفي يديه اللتين لم تعرفا سوى نحيب المطرقة

عندما تسوقُ مساميرَها السودَ في قلب الخشب

كان يداعبُ مسبحةً لاتنتهي

ويرى شتاءاتٍ ، شتاءاتٍ

يرى شتاءاتٍ تدحرجُ عرباتٍ بركّابها الى الوديان

حيثُ تختفي متبوعةً بنجمةٍ افلتت من مدارها

وحشدٍ من الذئاب الهزيلة

تسعى نحو المكان.

وكلّما روى حلمَهُ الأليف ، قدّموا لهُ

الهدايا، حتّى إمتلأ المساءُ بالقرابين للقديس والفُقراءِ والموتى

بالأرز والشاي وأرغفة الشعير، بالملح والزيتون

والاعشاب الشافية

حتى انطلقنا تحتَ السماء حتى انطلقنا

على ظهره كيسٌ من الجُوت ، كيسٌ من الجُوت

على ظهره كيسٌ من الجُوت

اثقلتهُ تلك الهدايا..

حتى حفظتُ الحلمَ كأنّهُ حُلمي

وكنتُ احملُ الكيسَ على ظهري عندما يُبركهُ التعب.

نهار في كركوك

الأبقارُ النائمةُ في ظلّ المَصْفى

لتمخضَ الحليب ، تجترُالعاقولَ والأشواك

والغربانُ تدنو من بئرنا

المسوّرة بشظايا القناني

على أطرافِ أجنحةٍ ذليلة

كأنها هدايا

من القار والمازوت

قذفتْ بها

من أحشائها المحروقةِ ، ((الآبارْ))

حيثُ تمتدُ متاهةٌ فضيّة من الأنابيب

ويرتفعُ اللهيبُ من حقولِ " الآي بي سي" ليلَ نهار.

هناكَ تتمرَغُ الشمسُ على ظَهرها

في زجاج نافذةٍ غَبراء

سمكةً تلفظُ أنفاسها الأخيرة

هناكَ يبدو العالمُ كمركبِ نوح القديم اذ يودّعُ آخرَ الضفاف ـ

قد تنسلُ امرأةٌ

لصقَ سياجٍ حاملةً شيئاً من أحدِ البيوت

صينيَةٌ مغطَاةٌ بمنشفةٍ نظيفة تطفو بين يديها

المصبوغتين بالحنّاء ، كطيفٍ سابغٍ

يعجنُ نعلاهُ الغبارَ لكنها

لن تكسرَ السّكينة ..

جسَدُ الأفعى

المتسربلُ حول بتلة الخَشْخاش

القرمزيَةِ الدَرَنات بارتخاءٍ ، وراءَ دكان

الأرمنيّ السادر في نومة القيلولة ـ

رأسُه الأشيبُ على دفتر الديون

عويناتهُ الطبيّةُ في كفة الميزان ـ

وحدَهُ، وحدَهُ كزنارٍ حي من الخرَز الملوَنةِ يزيَنُ غُرَةَ

الظهيرة

والصمتُ أعمقُ من بئرٍ

في هذا الطَرف النائي من المدينة..

الكلابُ تشمُ الطناجرَ بلباقةٍ

في ظلال الجدران ، والحنفيَةُ المُزنجرة

ترشحُ بصبرٍ في فنجانٍ مكسورٍ، قطرةً بعد قطرة

إبن العامل والدُوريّ

حيثُ تعيشُ عوائلُ عُمّالٍ

في أطرافِ معسكرِ تدريبٍ

ويحومُ جنودٌ

تحتَ سَحاباتِ غبارٍ

خلفَ السكّة

كان يسيرُ

الى التلّةِ في الظـُهْرِ ويُصغي

لأنين الريحِ اذا جاءت مُحرِقةَ الأنفاس ووالهةَ

في آب اللهّاب...

ينتفشُ الريشُ لها

في جُثةِ دوريّ مشتبكٍ بالأسلاك ـ

تتلوْلبُ فيها خِرَقٌ ،

أليافُ جَريدٍ

وجرائدُ عرّاها

الطقسُ من الكلماتِ ولم تبقَ سوى

لطخاتٌ شاحبةٌ من صوَر القائد

بالزنكوغراف

مازالت تضحكُ مستبشرةً

في الصفَحات الأولى

بين هياكلَ جرّاراتٍ تقطرُ صدأً

وبقايا أمتعةٍ وقناني

تفترشُ التلَة :-

بسطالٌ

من دون سيُورٍ ، مسمارٌ

لايصلحُ حتَى للصَلْبِ ، وغربانٌ متخَمةٌ

تنعقُ بين حُطامِ مراكبَ لم تنْجُ من الطَوفان -

ابنُ العامل والدوريّ المتربُ وحدهما

الآنَ ، على التَلة..

إبنُ العامل والدوريّ وآبْ.

طفلٌ تحت جدار

الطفلُ يؤرجحُ غُصناً

من أغصان التُوتِ لقاءَ حواجبهِ

في كسَلٍ بالقربِ من التنّور، ويدفنُ أحياناً

في أوراقهِ عينيهِ

أضعفَ من أن يتحمّلَ أعيُنَهم،

هذا الجَمْعَ من الجيرانِ على الأسوارِ

كمجموعةٍ من غربانٍ، أوسمة الشرطة..

وأبوهُ

في بيجامته

في الباحةِ ، يُجلَدُ بالكرْباج.

حادثٌ في قريةِ جبلية

فَجأةً يُستفزُّ الهواءُ

ويرتجفُ الليلُ في الشجَرة

ثم نُصغي

لعاصفةٍ من رفيفٍ

لأجنحةٍ تتعالى

بآلافِهـا في الظلام:

العصافيرُ تهربُ من صخرةٍ

سقَطت في فم البئر

من عُـلـْيها ...

رقصة الديك الأثير

خطوةٌ واحدة والبيتُ

ينهارُ، تنكسرُ البيضةُ الملْساء

ويندلقُ الجنينُ على الرصيفِ ، بين الشارع والباب.

خطوةٌ بين السجن والحرّية ، عرَفنا أنَّها مجرّد خطوة

عندما عاد جارُنا النجارُ من المعتقل النائي

في الصحراء ذات نهارٍ، عندما عاد

ملتحياً مثل نبيٍّ

حتى العينين، لاينبسُ بكلمةٍ وهو يتلقى

تهانيء الزوار، بل يكتفي

بالايماء السلبيّ الى السجّادة

أو السقف أو الشُبّاك

كأنهم مُعزون ، مثلهُ ، في جنازة...

متى حدثَ الكَسْرُ، وأينَ

في أيّ الأضلاع ؟ كيفَ

تدفّق شلالُ الضغينة ،

والقَهرْ.. من أيّ صخرة.

رُبمّا كانت الشمس ، ربمّا كانت

نِبالُها المتشظّيةُ في العُيون

وهيجُهِا القاسي على مواسير البنادق

والأزرار النحاسيَة

وجلجلةُ الموكب الذي

يعبرُ صاخباً امامَ الدار

للاحتفال بذكرى الثورة ؟ ربَما كانَ حاملُ الصولجان

(ضفدعٌ مُنَيْشَنٌ ، منتفخ الأوداج

يتقدَمُ المسيرةَ وهو يقلدُ مشْية الطاووس) هو المسؤول...

ربما. لكنَه بدأ بالكؤوس ، حطّم فناجينَ الشاي

هاجم برأسه الخِزانةَ ذات المرايا!

حتى وقعت عيناهُ على" الزمّار" ديكه الأثير

منتفشاً بأمجاده الوهمية في ركنه المعتاد

ومنذ تلك اللحظة لم يَعُدْ يحْتار...

منذ تلك اللحظة لم يعد يحتارُ بل أقْودَ جناحيهِ

بعد أن استدرجهُ إليه

بقوةٍ إلى الوراء

وحَزّ رأسهُ اللاهبَ الألوان بمنشار

سوى أنه أفلتهُ، لعلّةٍ ما، في اللحظة الأخيرة.

أفلتهُ لعلةٍ ما في اللحظة الأخيرة وطار الديكُ

من يديهِ

نافورةً مُدَرْوشةً من الدماء ، طار الزمّارُ ليصفعَ

بجناحِ احتضاره حاملَ الصولجان أوَلا ً،

في وجهه المرفوعِ الى الأعلى

بحثا ً عن عَصاهُ التي تطيرُ، وينتهي

راقصا ً على أكتاف السائرينَ في المسيرة

ووالغا ً أخيرا ً في التُواب

ناثرا ً دماءَهُ الساخنة على قُبعات الشرطة

وبدلاتِ الجنودِ

وثيابِ الأطفالِ البيضاء...

أسطورة السياب والغِرين

عرَفَ السيّابُ منذ البداية

أنّ الأشياءَ التي يمكن أن نحبّها ، قليلة

وجهٌ

يُشرق مثلَ رغيفٍ

من تحت الأطمار في مَهْده الصغير

بضعُ نساءٍ لهنّ حنانُ المرضعاتِ

في الأساطير، وقبضةٌ من الغِريْنَ البليلِ كذاكرة

الطـُوفان ظلـّت تلاحقهُ

من شقوق ذكراهُ

والنوافذ التي رآها

وانفتحت له في الطفولة ، عنـّى لها ، عنـّى

عنـّى لها حتى في حريق انتظارهِ

على أسرّة المستشفياتِ

البعيدة عن ماءِ

العراق ، وتوسّلِ من أجلها حتـّى

حتـّى إلى طين السواقي ...

عرَفَ السيّابُ منذ البداية

أنّ القَدَمَ الحافية لن تسيرَ إلاّ

إلى معتقلٍ أومقتلةٍ ، والفقرَ هو الشيطان

طالما كان هذا العالم في بؤسه وبهائه

مأدُبةً للآخرينَ

تُقامُ باسمنا في كلّ مكانٍ

ليسطو عليها البرابرة ، والغدُ غابةً

لاتورقُ إلا على صيحات ذئابها

وكان كلّما كتب قصيدة

هبط المستشفى

الى الهاوية..

حتّى إذا أتاهُ

الليلُ الخَدومُ بهالة الأبديّة

وتعرّى الموتُ لهُ

كراقصة بلا وجهٍ في حانةٍ التراب الأخيرة

دارت جَيكُورُ فيّ نهر دمائه بطينها وأفيائها مرةً أخرى

ورأى اللهَ يستريحُ

في قاع بُوَيب.

يونس وبئر الأرملة

من وراء السّدة العالية لسكّة الحديد
كان يظهر بلحيته الكثيفة شاردَ العينين في كل النواحي
متنقلاً بهما بين العصفور الذي يرفرف فوق تلّة من الفضلات
قرب عربة القطار التي تصدأ في الشمس
الى طارمة المقهى التي يجلس فيها شيوخ المحلّة
أمام السكّة مباشرة ، يرصدونه بعيون ذئبيةً مليئة بالغيرة.

بعيون ذئبيةٍ مليئة بالغيرة ، وأيدٍ مازالت طافيةً في الهواء
تحمل الزار عالياً فوق الطاولة ، سمّرها الفضول كالشراع اذا ملأته
ريحُ واعدة بالبحر.

يعرفون أنّه كان يزورُ الأرملة ذات البيت الكبير المغطّى بالعرائش
الغبراء ، في الطرف الآخر من السكّة ، مرةً أخرى.

بيت الأرملة الذي لايطأ عتبته من كان ، ولم يروا أحداً، ذات يوم
يجتاز تلك العتبة..

يتابعون كلّ حركة من حركات البهلول ، الذي يحظى وحده من بين
الجميع ، هو المعتوه رسمياً في عرف الجميع ، بالدخول الى بيت
الأرملة بحجَة البستنة أو حمل المؤونة ، أو تنظيف البئر الوهميّ في
نهاية الحديقة.

"منعول الوالدين!" كانوا يتمتمون بإعجاب شرس ما إن يقترب يونس من منطقة الفيء حيث يجلسون ، إلى أن يعالجه نزّاح الآبار المتقاعد بلهجة قانطة بقدر ماهي متواطئة ، كأنه يُكمل حديثاً شيّقاً تَبودِل بينهما منذ زمن بعيد بينما يشعل سيجارته بمقدحةٍ أثريّة لها فتيلة برتقالية طويلة كساق مالك الحزين:

" ها سيّدنا يونس، وكم مرّة دنْدلتَ حبلك اليوم ، بإذن الله ، في بئر الأرملة ؟"

الجد يبدأ بالطواف

لا أحدُ يدري متى

بدأ الجدّ بالطواف ، لا أحد يدري

لماذا بدأ الجدّ يذرع الطرقات ، باكراً

كصيحة الديك قبلَ السُحور، باكراً كما في شبابه

عندما كان يصلح الساعات في احدى المُدن الشماليَة

كأنه يجسّ الآن نبضَ العاصمة السريع

ويطويها برجليهِ ، متجليَاً، حارةً فحارة.

بماذا كان العجوز يفكّر وهو يمشي

تائهاً كالظلّ في أحشاء المدينة ، يداهُ

خلف ظهره تداعبان بلا توقّف حبّاتِ الكهْرمان

في مسبحته الأثريّ ، ونعلهُ الأغبر الخفيف

يصفعُ وجوهَ الأرصفة الساخنة الأسفلت بهمّةٍ

في الصباح والظهيرة ، أو يحرث تراب الأزقة

عائداً محدودب الظهر قبل حلول الظلام؟

كم من السنين والآلام ظلت تدكّ قلبه كالبحر

حتى انهارت السدّة أمام الأمواج؟

بين ماضٍ لايريدُ

الزوالَ ، ومستقبل قد لايأتي

هل كان يغذي بحبُه تلكَ اللحظاتِ التي اندثرت ليحيا

من خلاله الأموات ؟

ويُخرس المتسائلين بقولهِ

أنّ الزمانَ يجري كالمعتاد

حتى اذا تعطّلتِ

الساعات.

بحُميّا لاتعرف الإنطفاء

وعينين غائمتين لمستكشفٍ

لايعرف الكلال ، يمرّ بأوّل مصلِّ

يتوضأ أمام حنفية المسجد القريب

والفجرُ مسفوحٌ على بلاطهِ البليل حيث الحمامُ يشربُ الماء

ويحادثُ صيّادا ً على طوار المقاهي في ضفاف دجلة..

يُفرغ قاربَهُ من الأسماك

أو نادلا ً يدخّنُ في بلب حانة..

أحيانا ً يهاجمهُ كلبٌ صغير من مدخل أحد البيوت

وقد أعماهُ الغضبُ لسبب من الأسباب

في أزقّة خلويّةٍ لايعرفُ أينَ

تقودُ ، أوبعيدا ً

بين صرائف المهاجرينَ

حيث يبدأ العراءُ

على أطراف معسكرات الجنود.

هناكَ تحدثُ له أشياء

ويتبعُ التواءاتِ الصُدفة كأنَها إلهام

خصوصاً بعد التقائه بالعديد من أهل الجبال ، في محلّةٍ

من المحلات ، فحياهم وتبادلوا الكلام : امرأةٌ

كانت تعرف زوجتهُ ، رجلٌ

هاجر حديثاً من مدينته ، أو أحد الأصدقاء.

وإذا ماو افاهُ يوماً جارٌ أو قريبٌ

فهو عيدٌ من الأعياد ..

مفتاح البيت

حلَم رجلٌ
أنهُ يغادرُ مدينتَهُ
ذات نهار في عاصفةٍ تنحني لها الحقولُ
وتنهضُ لمقْدَمها أعمدةٌ
يغزلها أمام قدميهِ التراب
على حدود قريةٍ
تركبُ حافةَ الريح..

حلمَ رجلٌ أنّ امرأةً
تحمل طفلاً بين ذراعيها عنّتْ لهُ
أغنيةً كان يعرفها منذ طفولتهِ
ظلَّ يردّدها لنفسه وهو يقطعُ الصحراءَ
كأنها ينبوعهُ الوحيد..

لكنّ صوتاً
في وسط الحلم أنذرهُ
وانسكبت ظلمةٌ مفاجئةٌ على البراري.
حلّق طائرٌ
من احضان شجْرةٍ
ظلّ غصنها المهجور يوميء في الهواء ـ

زادَ السكونُ

حتى سمعَ الزمانَ ينسلُّ على أطرافِ بستانٍ

يابس الأشجار بخفّة الثعلب أوالقطاة

واهتزَ أديمُ الماء عندما انحنى

ليشربَ، ظامئاً، عليهِ..

اخذ النهرُ

بعضاً من قسماته في دوائرهِ

وانتشلَ هو، الانَ ، براحته البقايا

متعجلاً فالشمس مائلةٌ

والعالمُ يستدرجُ ضياءها الباقي

كنافذةٍ سحريّةٍ

تُطلُّ على الحدود

حيثُ كان يحلمُ بأن يسيرَ، وسارَ.

قبل أن يُناديه أحدٌ

تلفّتَ واستدارَ ؛ بقيتْ حقيبتهُ في الطريق.

من يدهِ التي انتفضتْ

وجرّحها

بالشيء الوحيد الذي في يدهِ : مفتاح بيت ابيه

بدأت قطراتٌ من دمهِ

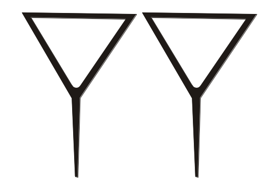
تنهمرُ ساخنةً في التراب.

هذا هو الحدّ ـ

هنا تنتهي طريقُكَ الأولى ..

إفركْ عينيك المليئتين بالغبار وإذا أنتَ تمشي

في بلاد الآخرين.



رؤيا المجرى

في قاع جسده كان ظلامٌ يقدحُ أحجارَهُ من آنٍ لآن

لينير أرضاً كسيرة ، كلما أغمضَ عينيه يراها

كلّما أغمض عينيه لينام.

ويفتحهما على آثار حريقٍ

في الصباح ، كالوسْمِ على جدران جبينه

والشراراتِ الخُضر التي تفرزها الأمواج

ويصعد على هُدْيها غواصٌ الى السطحِ، من القاع..

آنذاك كان يبقى

طافياً بلا حراكٍ

بين النوم واليَقظة

ليُمسك بالصورة في انجرافها

ويعرّضَ وجهَه للشرارة

فيرى أنّ الأشياء

غارقةٌ في حوارها الأليف

تستوطن تيّارها الخافي عليهِ

تجري نائمةً وقد ترمي

بما فيها لسببٍ مجهولٍ فجأةً

الى هاوية ملأى، وتسبحُ فيها

على شكل أشلاء.

تسبح عبر يديه الباحثتين ليستجلي على مهله مسارَها الأعمى

في مكانهِ ، في مكانه حيث يحلم..

ويفهم، بانخطافةٍ سريعة ، أنّ كلَّ مارآه

في لحظة رؤيته له، كان يولدُ حطاماً، وينبني من الحطام.

ثم التحم الليل بكامله، مزوّداً بحشدٍ من نجومه ، حول يديهِ

مثل كيانٍ مضيء في عالم من الاشياء

وكان يمشي في الطريق

كان يمشي عل جانبيهِ أغصانٌ تميلُ

حين رأى طيفاً ينهض من مصطبةٍ كأنه كان يستلقي

منذ آمادٍ بانتظاره هناك

وقد عيل صبرهُ إذ توجّه نحوه الآن

يغمره الفجرُ الذي يقدحُ الأغصانَ بلهيبهِ

كأنّها أعواد ثقاب..

لكنّ الرجُلين سارا

في اتجاهين مغايرين ، دون ان يتلاقيا ، في اللحظة الأخيرة.

لكنز الشَمَردَل

..أن تعرف كفايتك من الألم في هذا العالم العنيد، وأنّك
كنت تغذي أسطورتَه بكلّ بيت تكتبه كأنّه حجرُ الفتيلة.

عنيدٌ، قدٌّ من صخرٍ باعهُ
ولسوف يطالُ كلّ فعل واشارة

لكي تهيّىء الضلعَ المرشّح للطعنة..
لأن هذا وحدَه هو كنز الشَمَرْدَل ، هذه شهرزاد وهذا
مهبَلُ القصّة.

أسطورةٌ مكحولة بغبار الكهوف حيث وظّفوا العميانَ في أقسام
الجراحة، وكلّفوا الحمقى بتوزيع الآلام..

اليومَ مِلكٌ ، وغداً
شحّاذ يغنّي في نفَق المحطة :

لأنك إن لم تَدْر، لأنك إن لم تفعل ، وتملّصتَ بطريقةٍ ما
عن تكبُّد أيّة خسائر، فادحةً كانت أم تافهة ، قد تنجمُ عن فعلك

هذا

فإنّك ستكون بالضرورة

قد سقطتَ إلى درجةٍ أدنى، لم تَعدُ في مصاف الأحياء

تقاعستَ عن أداء المهمّة بحذافيرها

لن تنعش جلدك الملتهب نسمة البَرد المباركة

فأنتَ لم تذقْ طعمَ الثمرة المُرّة.

هكذا تكون قد تخلّيت عن الحق، لم تعد جديراً (لم يعد مؤكّداً بماذا!)

ولئن كان صيدُك ما زال يربو، فأنَّ لآلئك كلّها زائفة.

لقد فشلت يا هذا، ورسبت في الإمتحان.

الإسم

((على الذين أضاعوا أسماءهم ، فلنعلن البكاء))

قول آشوري

يذهبُ الكلُّ ولكنّه يبقى:

الإسمُ..

عزفاً صامتاً في آخر النسيانِ

يبْلى بمرور الوقتِ

لكنّه يبقى.

كلّما خُيّل لي

أنه لن يأتي ، أتاني؛

بلا رجلينِ

لكنّه يأتي.

مرّةً في قرية مقفرةٍ

حتّى من الظلّ (فلا شمسَ!)

لها مقهى شتائيٌّ ، وكلبٌ

واحدٌ يبحثُ عن سيّدهِ

في قريةٍ

بين جبال الألْب..

في تلك الأعالي!

(كيف ، لاأدري.
ولكن من زمانٍ، من زمانْ)..

مرّةً بين صحارى القُطْب
حيث الشمسُ لاتشرقُ إلاّ باقتصادِ
وبياضُ اللانهايات وديعٌ مثل إعلانٍ
وحتى الثلجُ
يُستثمَر كالرأسمالِ
في قرية سيّاح نيامِ
أو مجانينَ يدبّون بزلاّجاتهم اشبه بالأطياف
في حلم رديء ، ويطلّونَ على وجه النهايات
الجليديّ الأساريرِ ــ

أزحتُ الثلجَ عن مائدةٍ
في شرفةِ تلمس أطرافَ السحاب
فوجدتُ الإسم محفوراً بسكّينٍ
(عميقاً حفرتْهُ
يدُ مَن كانَ هنا قبلي) ــ
عميقاً...
في الخشَبْ.

بعد الطرُقات

أتركُ اعبائي في ظلّ جدارٍ

بعد ان قطعتُ الطُرقات

والعاصفةُ التي كانت تعيشُ لأحقابٍ

متذمرةً في مغائر رأسي

تقتنعُ أخيراً بالسُكنى

تحت جناح نسْرٍ

ساقطٍ في الخرائب حيث كانتِ الجريمة..

الذئب يحومُ

حول مخيّمات الجرحى:

خلفَ عينيه غابة من المخالب

لكن قد تظهر نجمة.

قد تظهر لنا نجمةٌ أمينة.

طريق الأول والتالي

اترك عينيك على حجرٍ

لم تعبر به قافلة

لم تخطُ عليه قدمٌ

كنْ قدراً واتبعني

كلُّ الطرقات الأخرى

تمتد بعيدا

وهي جميعا ملتوية

لن تخرج منها

بأقل من الحتفِ -

تلك طريقٌ

من سار عليها

ضيّع أمّهُ وأباه

وأضاع الأول والتالي

وستنهض من نومك يوما

لتزيح ستارا عن نافذةٍ

فتراها ، أو تبقى

في نورٍ يتخفى ، يتجلى

لا تعرفُ ليلا

ونهاراً، موتاك على

ظهرك وديونك أعلى من جبلٍ

لكن طريقك تتبع مجراها

عارفةٌ

أنك مثلي

لابدّ وأن تأتي.

كواكب الذبياني

«وليلٍ أقاسيهِ بطيء الكواكب»

النابغة الذبياني

بيدي اليمنى المتعبة ، في طريقي

الى المطبخ البارد لأغلي الشاي من جديد

أشير الى الصباح الذي يزحف كبزاقة ذهبيةٍ

من الشرق، بين التلال وأبراج التلفزيون

في هذهِ المدينة النائمة بوقاحةٍ على كتف المحيط

قائلاً

بعد الأشارة

من الباب المفتوح الى النصف:

« أيها الصباح الجميل يا أبن الزنيمة

خلتُ هذهِ الليلة لن تنقضي

خلتها نسيت كيف تنقضي الليالي وكدت أسلم أمري ..

كدت أسلم أمري أيها الصباح الجميل يا أبن الزنيمة

وخلتُ هذهِ الليلة لن تنقضي أبداً.»

برعشة خفيفة من الرضى

ولكن ميتاً من النوم والإرهاق ، أكاد أضاهي

النابغة الذبياني في إحدى لياليه

عندما ساوم الملوكَ في الظلام على حفنةٍ

من الخلود وشكا

من بطء الكواكبِ في قصيدة -

أفتحُ الباب على مصراعيه بعد أن أقول هذا.

كيف يأتي الفجر

« كواكب الذبياني: نص ثانٍ»

في طريقي

إلى المطبخ البارد لأغلي الشايَ

للمرة الأخيرة ، أشير إلى الصباح الذي يزحفُ من الشرق

بين شِباك الهوائيات العنكبوتية على التلالِ، وتحتَ

قطعاتٍ متحركة من السحاب

تستنيرُ أسافلها بلهيب شمسٍ سوف تشرقُ بعد قليلٍ

في هذه المدينة إذ تنامُ

على ساحل الليل والمحيط الهادي

بعدَ أن رقصتْ على كل حبلٍ كما يُقالُ

وتطلعتْ مطولاً في كل هاوية:

بعد أن عصرت آخر قطرةٍ

من آخر حبةٍ

في العنقود الأخير الباقي على الدالية

قائلاً له

بعد الإشارة إليهِ

من الباب المفتوح إلى نصفهِ بيُمناي:

- خلتُ هذه الليلة لن تنقضي

خلتها نسيتْ كيف تنقضي الليالي

خلتها لن تنقضي أيها الصباح المتأخر يا ابنَ الزنيمة

وكدتُ أنفضُ منك يديّ ، وكدتُ أسلم أمري..

أقول هذا من وسْط نعاسي

في ليلةٍ مثقلة بكواكبَ من أبطأ ما يكونُ

وأفتح البابَ على مصراعيه بعد أن أقول هذا.

لغة الفجر

لغةٌ الفجر مليئةٌ مثل صمتكِ بالوعودِ

تتمنّعُ مثلك عندما أريدُها

هذه اللحظات التي تتدلّى في فضائها

ولاراحةٌ مفتوحةٌ بما يكفي

لتلقيها كالنثار من الهواء..

هذه الصفقة مع الوجد كأنني

أنتظر وثبة الريح من وكْرها

وانسلالَ الشرارة بخفْةٍ إلى هذا المكان..

لن تستلّني من عجينةِ نومي هنا

أصواتُ ديوكٍ جهيرة تتحفز للاحتفال بالفجر

من سقوف كركوك

ريشُها الزاهي لن يشعّ لعينيّ ثانيةً كبدلة العيد

أصواتها الراعفة بأمجادٍ على وشك الانكشاف

أو الانهيار، لن تفزعني من أحلامي الآن

ولا ترعةٌ شديدة الخمول كنت أصغي إلى مائها في الطفولة

كلّما هربتُ من صفوف مدرستي

لأهيمَ على وجهي في البراري ...

حتّى يرفعَ النهارُ وجهَه المشغوفَ من بين البنايات

كأفعى أيقظها نداءُ مزمار مجهول ، وأسمعُ رجُلاً

يسعلُ في الخارج بقوةٍ ويمضي.

الأغنية

(عندما تأتي)

أغنيةٌ لا أسوار لها

تُغرينا بهدمها أو بنائها، لا أبوابَ

ولا حجارة ، لكنها دائما تأتي بلهاثها الغريق

تأتي بمن يطرقُ ليلاً

على باب غير مرئيٍّ، ومن ينادي أحداً

لم يعد بين الآخرين! ليبقى منه الصدى ى ى ى

ليبقى منه الصدى القريبُ ، والبعيييييييد....

أنتِ

عندما تأتينَ

من وراء تخومك المجهولة إلى البداية

حيث جرحٌ يبدأ بالإتساع مقدّماً

كبركةٍ تلقّتْ حجراً

ايٌّ فمٍ سيُرضيكِ في هذا الطقس الرديء ، أيٌّ عازفٍ

يُسلمكِ حيةً إلى أوتاره ، حتى لو كان

« مِضرابُهُ من قوادم النسرِ »

كأبن زرياب ؟

لستِ سوى هذا الصمت

المشروط باندثاره، وهل أنتِ إلاّ

وجهُ عابرٍ لا يأبهُ لمن نادى، من تمنّى ومن عنّى

هنا في منفاه الجديد، أو هناك

على حدً القرية التي يموتُ

كلّ يومٍ، ويولدُ

فيها...

أغنية للشتاء في فندق بالحيّ اللاتيني

لمصاحبة السكّير

الصارخ في بريةً أحزانهِ

أو نومه ، مسعوراً ، لا يتهاونُ أو يخبو

لمصاحبة السكّير الصارخ في نومه مسعوراً

وكأن وحوشاً سائبة في النوم تطاردهُ

نحو مهاوٍ ليس لها قاعُ،

وأنابيب الماء

الثرثارةِ حين تغرغرُ في منتصفِ

الليل –

أنينُ امرأةٍ

يعلو نحو مشارف ذروتها في إحدى

الغرَف العليا، وسعالٌ

يصعد منخوراً كنداءات غريقٍ

من بئر الظـُلـُماتِ ، لساعاتٍ

يقتلُ آخرَ أملٍ

كان يراودني:

أرقٌ ،

أرَقٌ حتّى الفجر التالي ..

راسٌ يحفر أشكالاً سالبةً في سطح مخدّة.

البردُ شديدٌ...

ثلجٌ بالأمس ، خفيفٌ

تقليديٌ

في هذا الوقت من العامِ

الزاحف نحو نهايته، مازال يغطّي الأشياءَ

كأنّه كفَنٌ، لكنّ " الشوفاج "

تعطّل في الغرفة منذ ليالٍ

وانقطعَ الدفءُ...

فتحتُ مقابضَهُ

حتّى الآخر علَّ الدفء يُعاوِدُهُ

وركلته ، في نوباتِ قنوطي، مرّاتٍ عدّة.

أصغيتُ إلى تلك الأحشاء

الجوفاء الملويّة كالأرغن لِصْقَ جدارٍ

وحلمتُ بموسيقى الماء الساخن تحملني

في ملكوت النوم على أجنحةٍ من دفءٍ

لكن العازفَ ماتَ كما يبدو

وسدىً أركلُ جثتَه بحذائي

وسدىً أكتبُ في هذا الدفتر

ملتفَاً بجميع ثيابي وغطائي

أنّ الشوفاج تعطّل منذ، ولا أحدٌ

لا أحدٌ، لا أحد يأتي

ليصلّحَهُ..

وإذا لم يأتوا اليومَ ، سأكسرهُ.

أحدُ النُزَلاء

على الأدراجِ، تنحّى

حين رأى وجهي، معتذراً

لا أعرفُ عَمَّ ، وكلُّ نزيلٍ

يحمل وسْطَ جبينه وشماً، لا أعرفُ كيفَ أفسرّهُ..

لقاء مع شاعر عربي في المهجر

في تلك الساعة المنبوذة والمنفردة

في تلك الساعة من الليل حين تضيقُ الخيارات

حتّى يتخذ كلُّ غيابٍ للمعنى شكلَ سحابةٍ من الدخان

بين أصوات الزبائن السكارى في ذلك المطعم الصغير

وهدير المحيط الهادي الذي يدكُّ ، في الأسفل ، شاطئَه الصخْري

في تلك الساعة المنبوذة من الليل، في تلك الساعة المنفردة

حدّثني عن شعراء المهْجر الأسطوريّينَ

وكيف كان يعرفهم في شبابه، هو الذي

مازالَ يتبعُ نفْسَ الطريق.

ومن دفتر عتيقٍ

يحملُ على غلافه أرْزةَ لبُنان

أخذ يتلو عليّ قصائدَهُ العموديَة الطويلة.

كان يعرفهم جميعاً

من "جماعة أبولّلو" الى"الرابطة القلميّة " :

رشيد أيّوب، إيليا أبو ماضي، أبوشادي والبقيّة

لكنهُ هوَ اختار الطوافَ ، هامَ على وجههِ

في الدنيا، صالَ وجالَ في الأمريكتين

ليس كاللّيْث دائماً (غمَزَ لي)...

صادَ أكثر من ظبْيةٍ في صقيع شيكاغو

ورَمتهُ أكثرُ من حوريّةٍ على ضفاف الأمازون
بينهنّ خُلاسيّةٌ ناريّةٌ الصفات ما زالت تطاردهُ
حملتْ بأبنٍ لهُ في إحدى الغابات...

كان دليلاً
يُرشدُ السيّاح بين ميامي والبرازيل
في مُدن لم أسمعْ بأسمائها، وطبّاخاً في سفينةٍ
تمخرُ بحر الكاريب.
ذاقَ ثماراً غريبةً واحتكّ به الموتُ، هازمُ اللذاتِ
في أكثرُ من مناسبةٍ
(كان، لفترةٍ، يمارسُ التهريب).
بل جاءَ عليهِ زمانٌ يا سيّدي
جاء عليه زمانٌ كان فيهِ أميراً
يملكُ صفاً من البنايات

حتّى ظُهور الشريك المحتال كأنّه قدرٌ
يتبعهُ، طلباً في النسيانِ، الشراب
فالنساءُ وكيدهُنّ ، فالمحامون اللصوصُ فوق رأسهِ
كالصقور، فوجهُ القاضي الأشكنازيّ
كالحدْأةِ المشؤومةِ إذا رفرفتْ
فوق قمّة الزبالةِ ، فهاويةُ
الإفلاس ...

وها هوذا

في سان فرانسيسكو أخيراً

حيث ألقتْ به آخرُ عاصفةٍ منذ سنين

بعد أن أنهكهُ الترحال ، يطبخُ من منتصف الليلِ

إلى الفجر، في هذا المطعم الذي يطلُّ على البحر ويسمّى " الفنار"

لهذه الشخوص الليليّة ، هؤلاءِ الضائعين والضائعات...

لكنّه أفهمني أنّ الحال كانت دائماً هكذا

دائماً، دائماً، دائماً هكذا

وذكّرني أنّ خليل مطران

فتحَ دكّاناً لبيع الفحم في مدينة بالمنفى

(ريو دي جانيرو؟ نسيّ ، وقد تجاوزَ السنّينَ، المكان)

حيث كانَ، بين كلّ زبون يغادرُ محمَّلاً

وثانٍ يُطلّ بأكياسهِ الخاويةِ من الباب

يُسطّرُ في كتاب ديونهِ

عَدداً من الأبيات...

ودّعني مبتسماً

وملوّحاً بدفتر قصائده في الهواء

ورأيته يعودُ الى مواقده ، والدخانَ يعلو

من جديد ، بعد أن أعادَ دفترَهُ الى أحدَ الرفوفِ

حيث تبدو نسخةٌ باليةٌ من كتاب " النبيّ " لجبران...

رأيتُ دخانهُ يعلو مرّةً اخرى.

رأيتُ الأرزة على دفتره من جديد.

مديح اللقاءات

نتركُ حريقاً حيثما كنّا، ثمّ نشتاقُ

الى البحر في عزلته القويّة ، كمن تحرسه أوثانُ لياليهِ

ويغنّي وهو يحدّق في الهوّة..

في كلّ منّا ساحل لاستقبال الموجة الآتية

لكنّ هذا العالم المجبولَ بأحشاء ضحاياهُ هو العازف والقيثارة..

فلأكسرنَّ اسطواناتي

سمعتُ مايكفي من الموسيقى

ولأحطّمَ أخشابَ رفوفي

فلم أعد أحتاجُ بعد الان الى كتبي

ولأتبع نيراناً هاربة بين الاشجار حيث ترقص الريحُ عاريةً كسالومي

بعد أن فازت على طبقٍ فضيًّ

برأس يوحنّا المعمدان..

سيُرشدني اليها الدخانُ في كلّ ليلة

اذا حطمتها الليلة وغذيّتُ بها النار..

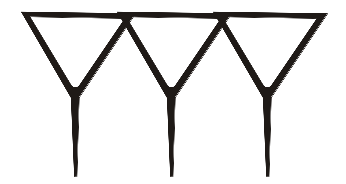
لاقدّسَ شيئاً أبعدَ منكِ ومنّي

حتى يتجلّى اليوم واضحاً لعينيّ، مسترشداً أيّ ظلًّ

قد يدلّني الى كلماتي

وذاهبا الى النهر وعلى ظهري شِباكي

لألاقي مدّ الأحياء في كل يومٍ هناك.



أغنية الساعات

ما الذي تفعله النجمةُ في أسوار جلدي

أيّ نار فقدتْ اطفالها في الليل تبكي مثلَ امّ في طريقي

ماالذي خبّأتهِ أيتها الأيام كالجمرة في أجنحةٍ أو تحتَ

سجّادةِ بيتٍ

ايّ مجنونٍ وموعودٍ تخفّى بإهابي هارباً بين العواميد بوجهي

ايّ عصرٍ يبدأ الآن وفي أيّة أرضٍ نمتُ وَحدي.

وضع في زمان ومكان

هذا النهار يموتُ

بدوره أمامكَ الآن

مثلَ نافورةٍ بدأت بالنضوب

تبصق بين يديك

جمراتِها الأخيرة

في هذه الضاحية المطلة على المدينة ـ

هذا النهار وليسَ لأيّ نهار آخرٍ

يموت بدوره امامكَ الان..

كلبٌ ناءٍ

ينبحُ في احَد البيوت

وامرأةُ

بعد الحبِّ

في هذا البيتِ

تنام.

تقدّمي

من قاع الكون إذاً

ايتها النجوم الغريزة كالحّصباء

وانكشفي بجلاءٍ أقوى

تحت لمسة الظلام الآمرِ ايتها الأفلاك

لتنيري ثانيةً

مشهدَ الحبّ المليء وكيف لاينتهي

ألا ّ ليبدأ من جديد.

ليأتِ الظلام.

أسطورة الرعشة والريح المؤاتية

-1

من وقت القشعريرة وهي تبني

في اللحم جسورَها

أوتُنزلُ الجُدرانَ عن قامة العراءِ

من وقتٍ

يترنّم الدمُ الجديدُ فيه

أويتجمّعُ ليغزو

صباحاً من البُعد والنقاوة

صباحاً من النقمة يتجلّى في كل ايماءةٍ

تدلُّ على الطريقِ واللاطريق..

ألمسها كحدّادٍ يحلمُ بالمعادن

كلما جاءتني الرعشة وكانتِ الريحُ مؤاتية.

- 2

كالنظرة الأولى في انكساراتها

بعيداً حتى الهبوب النهائي لسُلطة القفار

بعيداً حيث المرأةُ الاولى في سريرها

المهجور تلتهبُ، بعيداً

طـّوالَ التهابها

نسيرُ في الهواء الجريح بين أجنحة الطواحين

لأننا وُلدنا لنخدم الريح

في مهبّاتها نلتقي بالشكل الأموميّ وقد تدلـّى

مُنحنياً باتجاه الخرائب

في أصابعها اشاراتٌ

وجهُها لها

لكنـّها لي وحديَ تختار أن اجري وراء مدّها

حتـّى سُبل الأمواج المقفلة

تختارُ لي أن اجري

وراء قوس نشوتها الموتر الذي أجري

اليه وأجري

لاحقاً نفسي بلمحة سابقاً نفسي بلحظة

لاحقاً سابقاً بلحظة

بلمحة

- 3

تعرفُ انني أقضي الليلَ وراء سور

وفي يدي مفتاحٌ الى وليمة

تعرف بالغريزة كأيّة أنثى

أنّني محاربٌ يبحثُ عن ثغرة الحصار

حيث الهزيمة تنزلق حاملةً جنينَها

والأفْقُ مستسلماً يصبُّ

زُرقتَه الاخيرة

أريدُ لها

ان تخرقَ اليومَ خَتْمَ الهاوية

وتركبَ صرخةً إلى المجد بفخذيها

مجبولةً دائماً بتلهُّبي

وأنا أربط الليلَ بالآية

متخّلصاً من نسوري الميّتة على المعابر

فالبابُ لغير النشوةِ لن ينفتح

وللغُراب في البُعْد آمالٌ كبيرة

رغبة هذا مداها

لحظةٌ واحدةٌ، ببابها

الذي يدعو الى الدخول

وتفتحه الرغبةُ بايماءةٍ الى مرغوبها النائي

لحظة فاغرةٌ، لحظة مشغولةٌ

بسرَيانها، حدّيةٌ

لاتُهادنُ، أوتردُ على الاسئلة..

ظروفٌ، بسيفها القاطع الحدّ

او المثلومِ، تحكمُ غيابيّاً علينا ، بيننا

ربما لتبرهنَ أن الزمانَ، وإن لم يكن عدونا

حقّاً، فهو ليس صديقاً وفياً لنا ـ أنّ الأشياءَ تجهلُ معنى الوفاء او الخيانة، والأماكن لاتوافينا دائماً بأمانةٍ في هذا

العالم المديد.. لكنّ اللقاءَ مفوّضٌ بالوقوع وندري

أن الأماكن ليست غير مواضعَ مكروزة

للقاء..

تبقى، إن هجرناها، خلفيّةً لذكرانا ـ

قهوةٌ قويّةٌ تفتح بابَ الدُّوار، في مقهىً

تُطلّ على البحر(طاولة، زهرتانِ ، شمعةٌ تصلّي

في لُهاة قنّينة، صوتُ جرسٍ

يقرعُ في قُبّةٍ رخاميّة قديمة) .

شارعٌ مطيرٌ قطعناهُ ،غرفةٌ

مُسدَلةُ الستائر في سطح عمارة..

عندما تطرحين سترتك الموّشاةَ بالورود على السرير

في حركات يديك النهريّتين، في كلامك الملغوم بشهقات خفيّة المرامي

تنزاح غلالاتٌ كأنما للمرّة الأولى

تعبر وراءها

قطعٌ بيضاء من السحاب، تستلقي في ظلالها حقولٌ

ناضجةٌ لاستقبال الشُهُب.

فائضةٌ هي الكلماتُ:

بنظرةٍ نقولُ مانُريد.

رغبةٌ، وأنت تكشفين مداها..

تكشفين ما للوقوع في الأشراكِ

من فوائد، وما للتوّقع من زوايا

في همساتك أحياناً، في كل كلمة تتفوّهينَ بها، في كلّ ارتخاءةٍ ونأمة..

تنوئين بدهشة تحت ثقلها، رغبةٌ هذا مداها

ثم تستديرين ضاحكةً باضطرابٍ

وأنت تفتحين الباب، لتذهبي.

دعوة الى النـهر

كلُّ حياتي تبدو واضحةً

العالمُ يفقدُ سطوتَهُ، والليلُ يمرّ ولايأبه أحَدٌ.

لاأحَدٌ يأبهُ اويدري..

العالمُ بين يَدينا

يستسلمُ كالأبله برضاهُ

فنتركُ للرغبة أن تشطرَهُ

نصفين وتجعلَ بينهما

نهَراً يجري

حين تكونينَ معي

وتكونَ لي امرأةٌ مثلكَ تعرفُ كيف تُناجي

الليلَ بأسماءٍ، وتميل عليّ

مع الفجر ملاصقةً

أو تمسحُ لي

ذاهلة

عَرقي..

بعدك جاءت تؤنسني

أنواعُ المخلوقات

السحريّةِ ترعاها

وتسوقُ مواكبها

الوحدةُ، تلك المغناجُ ، الى أحلامي:

أرضٌ مِعشابٌ، ليس لها حدٌّ..

تلك المغناج، الوحدةُ، بعدكِ ، جاءتْ

كنتُ أقولُ:

وها هي تفتحُ لي

كعروس زائفةٍ صندوقَ حِلاها

العامرَ من أجل مواساتي..

لكنّ النهرَ يمالئني ثانيةً

لأمارسَ فيه غرَقي..

مطربة الملهى في ميناء ((أنكونا))

للبحر مراكبهُ

راسيةٌ في الميناء

وراءَ البار، بأشرعة مرخاةٍ

ترفلُ في الريح المالحة وتندْى

وإذا ما ضعتَ على وجه البرّ

وضيّعتَ سبيلكَ في أحَدّ الأيّامِ

فلاتيأسْ ، لا تيأس..

حين تغنّي

هذه، حين تغنّي

تولدُ ، في كلّ مكانٍ

اعتابُ؛

يتلقّاكَ

وأنت تحومُ

بلاهدفٍ في الليل أوالميناء

سبيلٌ.

في يدها اليمنى

ميكروفون برّاق له شكلُ الإسفنج

المحروق او الصبّار تُغازلهُ

متعبّدة في هذا

المحرابِ

المرتفع الأسعاروتسبحُ ، في الجو، ذراعٌ يسرى

تبَعاً للإيقاع ، يرفرف عند نهايتها

حيث تشعُّ أظافرها

كمخالب نَسرٍ ،

منديلٌ.

بار النورس

(في سان فرانسيسكو)

أتركها تُماريني مرّة أخرى
هذه الرغبة التي تأتيني في المساء
لتستلقي بعفويّة امامي كعاشقة جاءت
تريد المصالحة بعد شجارٍ.
أتركها طافيةً وسط حياتي كشارةٍ بلهاء
هذه الثريّا التي تجهل الإنارة.

بعزيمة مغامرٍ
يلبسُ شكلَ المناسبات
أو عصاةٍ يفرشون خرائطَ باليةً على الكراسي
كتابع مستريبٍ
يسري مع الريح في اعقاب رسولٍ
اتبعها باتجاه الطقس المدلهّم القريب
من البحر، من البحر وهياجه الليليّ الذي
لايواسى ، نحو بارٍ ساحليٌّ
تتسلّل من بابه رقعةُ ضوءٍ
كقضيب من النار تكتوي به بدلةُ الضباب
حيث تنتظر أشكالُ نساء في عُهْدة الدخان
الكثيف ، أي فارسٍ

بلا فرسٍ، أيّ بحّار بدأت تخذلهُ

بوفرة أشراكها اليابسة..

في عهدة موسيقى أحاديّة المعنى

غامضة المزايا، همساتُها مقدّمة لصرخاتها

الآتية

على إيقاع الغرائز الأولية (كل نغمةٍ خفقةُ طائرٍ

يستيقظ ناعقاً في عشّين دفعةً واحدة)

تقولُ أنّ رحلاتك كلّها تصبُّ هنا

تقول أن الصبَابة هذه الليلة

أيضاً، كأية معجزةٍ

محتملّة..

لكنّها احتمالاتٌ صعبة وقليلة:

إمّا فتاة الحان ذات الجسد الأقحوانيّ

والنظرة الواعدة

او الشقراء النحيلة التي لاتكفّ عن التدخين

يولعُ لها، لكلتا يديها، عددٌ تائق من البحّارة..

وربّما زنجيةً مُقمرة العينين لها سنٌ ذهبية

تومض مقدّماً بطواعيّة حنانها

من إحدى الزوايا

بينما تعولُ مغنيّةٌ

من الجوكبوكس، كأنّها تُطعن بسكين:

"عُدْ اليّ ، عُدْ ياحبيبي

ساعطيك آلاف الليالي

هذا هو وعدي ي ي ي.."

قد تكون فتاة الحان إذاً

لا الأخريات، هي وحدها من يُحيلُ

هذه الليلة أخيراً إلى غناء؟

وماذا تقول سِدوري؟ لكنّ سدوري تخبرني

بصوتها الناعس وقتَ الإغلاق، أنّ الحبّ

مهنة كاسدة في هذه الايام ، وتلقي بكأس اخرى

الى مغسلة عامرة بالكؤوس وراءها

فاشربُ ما يكفي من البيرة

لرشوة الليل الواقف بكلّ حرّاسه

شرساً ومليئاً بالنجوم ، وراءَ الباب..

مرثية الى عمر بن أبي ربيعة

قد أصفُ نهدَها

حلْمتها الورديّة وكيف تشفّ في النور القويّ

ناريّةً كالزبيبة او تمرْ الدين

قد اكتب عن نَمشٍ يغطّي كتِفيها

كظلال قوافل من النمل

تعبر صحراء من الصوّان

عندما تستيقظ في سريري

أو سريرها ، عند الظهيرة أو في الضحى

وليس أبداً في الصباح ..

لكن آخرين

أكثر جدارة منّي

تغزّلوا بهذا ، وأجادوا -

نثروا أسرارها تحت كل قافيةٍ

حباً ذهبياً لدجاجة سحرية ، هم الذين خبروا

الرغبة بأرتعاش اليتامى

فأشعلتْ على طرف اللسان آية

عابرةً ومدت لهم جسراً

الى النسيان ، بالوهيج ـ

بكل آهةٍ أفلتت شاكية من فمٍ

وكل ما أُتوا من البراعة ، متوسلين آلة الكلام

ليسكروها فترضى

بصورة العالم كما رأوها وتأتي

فرساً، لينةً ، في النهاية..

لكن ها هي عاشقة وجدتْ

حتى قبل أن أُحسن النطق بأسمها ، سريري

أزاحت بطانيتي بيدٍ خبيرةٍ ثم دعتني

كمن ينازلُ خصماً ، عبر نهر، بعينيه.

أين منّي

تلك الأسرار يا أبن أبي ربيعة

أين مني ذلك المديح

إن كانت من أرفعهُ اليها

كما تفسد الذئبة بأوجاعها تغريد الكناري

أفسدت مطامحي في إغوائها بمهلٍ، وعلى روّيتي

حتى يصيبها مسّ ، وتعرف مجد الدوار ..

تقول ، حدثني . حدثني عن القلب والحُشاشة ، حدثني بالروح

وأخبارها

خبرني بما كتبوا ، أولئك التيوس ، وصفْ لي بأختصارٍ

ولكن بأختصار، طرفاً من تلك المجاعةِ : صف لي !

ثم إن أقمتَ البرهان قاطعاً وأقنعتني

بأن الحب قد ينبو مقدار أنملةٍ عن مرامهِ

فليبطئ بنا الزمن ويمضِ على وتيرته المعتادة كما كان

ولك أن تجُهز آنذاك على جموحي

وتطعن بهذا القلم المستأسدِ

هاكهُ ! جسدي .

موازنة ليلية

نهاية ليلة مفهومة ، ستمر

محايدة

مثل باقي

الليالي ــ

عصى في زوايا

دِماغة ظلٌ ،تبقى أوارٌ

على حفنة من رماده تغذوه ، شبه أوار ..

وبالرغم

بالرغم من أن

من أنه لن ينام ، فأيامه الآن

تغزو لياليهِ

حتى أمحت (أو تكادُ !)

خطوط التشابك بين المجالين

والنور أكثر بخلاً

وحيرته ، من يقينه ، أقوى ــ

مراسيه مكفولةً كلها ...

مراسيه مكفولةُ

وله قدمٌ في الترابِ .

العنكبوت

على رصيف الميناء في جزيرة « روديس »، مدفع أثري ذو عجلات تخلّف من حرب غابرة مع الأتراك، ولم يعد يصلح الآن سوى للزينة في صور السياح العابرين، يواجه البحر العاصف وفي فوهته عنكبوت صبور ، ماهر الحركات ينسج شباكه الهشة في الريح - ينسج شباكه التي تخفق بقوة في الريح حتى تكاد، إذ تراها، في أية لحظة تنهار لكنها في كل مرة تبقى مشدودة بانتظار الضيوف أو الضحايا ؛ ذبابة مستعجلة لم يبقَ منها سوى جناحيها، أو يعسوب متأنق بإفراط في هذه المرّة ، خرج مبكراً للزيارة..

الشبكة

عندما تكتشف إن الأشياء ليست كما كانت بالأمس، والنور أشد حدّةٍ مما كان ..

إن المطر الذي يبدأ بالتساقط في آواخر النهار على شكل نسيج تندفه يدٌ مجهولة وراء زجاج النافذة البليل، والشجرة المغسولة الأوراق ـ والسماء المحمرة الأطراف كبابِ مِصهْرةٍ منذرة بأنفجارٍ قريب ـ إن كل هذا يدلك بشكل خفي الى ماضيه الخبيء ، وفي تلك اللحظة ترى الشبكة.

ترى إلى أين تمتد ، بعيداً حتى الفتحة المزنرة بالسحاب حيث تولد الأشياء ساقطة في حضن الأرض ، بعيداً حتى خيام القبائل الأولى في وهيج السلالات ، أبعد من فاكهة الدهشة أو أزباد الدهور ـ والعميان والعصاة والجنود والملائكة والذئاب ـ عندما تكتشف أن الأشياء ليس كما كانت بالأمس والنور أشد حدةً مما كان، وترى الشبكة .

زيارة إلى التنّين

أخذتُ أقضي أمسياتي

في البحث عن أضيق الطرقات حول أطراف المدينة

أستدل رائحة الطين والحصباء المنقوعة لألف سنة في البحر

وترشدني عظام الأسماك البيضاء

كأمشاط عاجية تلبسها أرامل البحّارة

وكلاب الصيادين الجذلى بألسنة تتدلى حتى التراب

نحو نَزلة الميناء

وأدراجه الحجرية

التي ما تزال دافئة

تصلح للجلوس قبالة البحر

والتحديق على مهلي في مداه

عندما يكون أشد زرقة من عين قرصان شره

يحلم بالأسلاب ، وخالياً كما هو الآن

من أية سفينة ...

النوارس وحدها

تجثم فوق أضلاع القوارب والصواري

المدفونة في الرمل صابرة بانتظار أن تهب الريح

بانتظار أن تهب اليوم أقوى

فتفتح الأمواج

لها وديانها ـ

حيث تنقضّ النوارس مطويةَ الجناحين

صاعدةً من الموج بانتصارٍ

والفريسة ترعف حية في مقصات

مناقيرها ـ

وقد تكشف أيضاً

عن القاع حيث البحر مشغول

يُخرج مسلات فوّارة من الحصى

كربّ لا ينام على حافة الصخور يهبّ لاستقبالها

طابور مُدَروِش من الأصداف ، وسلالم راقصة

من السراطين المذعورة

تتلاطم كالصنّاجات في أوج التياعها ، ثم تهوي

من جدار الموجة العالي ...

وبعد أنسحابها

ترقص أسماك صغيرة

مدهوشة على الرمال ، نجمة بحرية ، عنقود حي

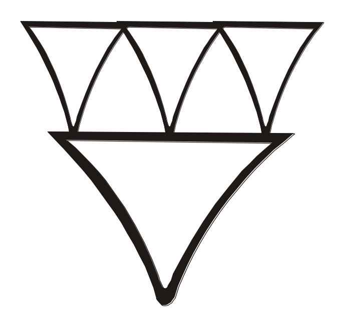
من الخُرشار ، محارة لها أسنان وردية كالبواسير، مخلوق

يشبه اللحية، أسفنجة تبكي ...

كان البحر يصخب طويلاً هكذا

مثل تنين في مراحل طعنه يتقيأ كنوزاً حية

على الرمال ، حيث ترقص أو تتلوى وبعد قليل تموت .



تجاسيد

بداية النهار

الرغبة مملكة أنت أسدٌ بين أسوارها
يستيقظ الآن مطالباً بحصته من لحم الفريسة.

فطور

على فيرندا الفندق الخالي
عندما يأتي
صاعداً اليك أدراجاً
بساقه العرجاء خادمٌ
فقدَ القدرة
على إخفاء حقده الصريح
تطلب منه الفطور بعينٍ منكسةٍ
وكثير من اللباقة ..

آدم

التقيتُ بآدم في فندق مشبوه على «السين »
تؤمّهُ النساء ناظرات الى الخلف
والشرطة تدهمه بانتظام.

كان يدخّن بشراهة.

وأقترح عليّ

أن أهجر الشعر ، وأن أطارد النساء

بهمةٍ أكثر ...

يونان النبي

يونان نبيٌّ

أُلقي في البحر

من سفينة دبَّ فيها الخوف

كأنه الطاعون

وأهلكَ الصيادين والبحّارة

لأنه كان حياً لكنه من الغرقى

وكان كالموتى ولكن ميتاً من غير تابوت ...

حتى تلقّاه فم الحوت .

خطوط بيانية

ستموت وتحيا .

ينحدر النور من باب الضرورة .

الكدح كالثور في الطاحون

طيلة النهار

حتى إذا هبط المساء

خرجتَ لصيد ملاكٍ

ضلَّ طريقه

في أماكن السكُنى ..

الحب

وجهك بيتي ، أيها الرب الذي

أورثني غيابه

كخنجر

في جسد ، ثم أختفى

ثم أختفى ..

أمجاد

أعيدي أمجادنا الليلية

مرةً أُخرى وإلا ..

أفتحي صندوق هذا العالم البائس ثانية

(وحدكِ تعرفين أين المفتاح !)

ولتطِر مخلوقات باندورا كلها في نار فوراتنا

الجديدة.

هذه أربعيناتي !

هنا

تتجمع الأنواء :

إنه الشتاء والذئب على بابي.

الأشهر الأخيرة

الأشهر الأخيرة كيف أنقضت وما فيها ..

لن تجد الخيط ـ

مهما أجهدتَ نفسك لن تجده ـ

واصلةُ العِقد مفقودة ..

كلٌ يسعى نائماً في سبيله

والمركب وين رايح ، والقافلة أين تمضي

هذا ما لا يبوح به البحر

ولا تعرفه الطريق.

كنتُ أصعد

كنتُ أصعد متعثراً ، أسهر من أجل لا أحد

أسرع الى غير ما لقاءٍ ، في طريقٍ

لا تكفّ عن فرز اللقاءات

وغرفتُ خُطاي

بملعقة السير ووحي أسفاري وأنتِ

تلك القيود المولودة على الأيدي

يُثقلُ سيري وعدُ تحطيمها ..

كنتُ أتقدم بعد أن هُزموا

وأستيقظتُ بعدما ناموا ...

لا بيت ولا حديقة

لم يكن هناك شارع ، لا بيت ولا حديقة

عندما أكتشفتَ أن جميع الأنهار بعيدة ..

وقود

أحرقُ هذه الليلة في وجه اللهيب

كأنني أبحث عن تقاطيع حياتي المرسومة في الرماد .

أن تكون الحلم

أن تكون الحلم ، مصنوعاً من الريش تناديها وتبقى

لا تنادي أحداً ، أو يتسنى لك يوماً

أو تغنّي أو تطير ..

(سنةٌ أو لحظةٌ ـ

شارعٌ خالٍ ، وأحياء مطيرة) ...

وجهٌ رأيتهُ

وجه رأيتُه اليومَ في مرآة مقهى

كان يحمل شحنة أضافية من الغضب

كأنه يشم خائناً في كرسي قريب .

أغنية رجل يستيقظ في الظهيرة

أفتح عينيكَ على هذا

النور المتسلل من خلف ستارٍ

كم فكرتَ بحاجته للغسل ولم تغسله !

لكي يوقظك اليوم من النوم ، لكي تبدأ ، وأستبشر

وكفى نوماً ..

أرنباؤك لم تأتِ ـ

زمانك ينقص يوماً .

أغنية رجل لا ينام

ذهب النومُ وطار

هل تعرف أين صار ؟

في آخر الملكوت .

ومن رآه يمضي الى هناك ؟

عابرٌ أو عابران في الطريق.

هل تدري من أين مضى

وأية طريقٍ أختارَ للذهاب ؟

في الفجر والليل يموت والندى

يسيل على الأعشاب ، راجلاً ، في سيارة أُجرة

أو راكباً صهوة الريح

تلك الفرس النبيلة .

أصغر الأشياء

أصغر الأشياء تخفي إرثها

المجهول في رشح الليالي

ولحُاء الكلمات ..

هذه الأشياء لا تعرفنا

لكنها تعرف ماضينا ، لذا تسحرنا حين تغنّي

أو تنادينا الى أي مكانٍ

فهي أيضاً

تختفي دون التفات

دون ريح ، رايةٍ ، مستقبلٍ في العاصفة .

الى الواو، بانية الجسور الخالدة

لا تشرعين في العمل من دون دعوة :

كل جسرٍ يولدُ كاملاً ، جاهزاً أمام العابرين.

لأنكِ دائرة مقفلة تمشي على عكاز، لا تعرفين إلا شيئاً واحداً :

الوصول .

أريكة الملاك

اقلب الدور انها محنتك من جديد

سبحّ بأمجاد السكين والقِ بهذا الإرث السَليخ الى الرياح.

سأقلب الدور ، والقي بهذا الإرث الى الرياح.

لكن يا للأمل من وباء شائع ، يا للحربة

المشكوكة في صدر من طنين

يجرد من سكينته ملكوت النائمين

ولجبهة البهلول من ماء فريد يرقص وحده في دائرة !

اما الملاك فجالس على الاريكة .

قم فصارع الملاك.

وعد مقطوع

سأربط خيط حتفي بالطريق

بحبل سُرّة لحظةٍ

تأتي

الى بوابة نارية

قيدتُ في نيرانها رأسي

سأسكب من يدي ذهبا

سأبعث عالما في لحظة ذهبتْ ..

وأذهب عندما يدنو ذهابي.

الفلس

جلستُ طوال النهار

احلمُ بهذا اللغز: بلادي

عندما وجدتُ فلساً في جيب سترة قديمة .

باب البيت

هل دفع الشاعر ثمن الحق بأن يدخل من باب البيت اخيراً

ان يملك مفتاحاً وسريراً..

مرثية لكأس القدرة

سنشرب كأس القدرة بعد لكن كيف وأين..
لأرتهان الغد ، ذلك الحيوان الجميل الساهر في ظل ولادته
انقى بياضا من جسد النقاوة : هناك تسبح المنحدرات
كلها في دمعة شاهدٍ ، وفي كل عينٍ تموت قبيلة.

تطورات يومية

بدأت اقول في التلفون للأصوات التي تحادثني آناء الليل احياناً من مسافات بعيدة (صديق ساهر في قارة اخرى، عاشقة من الماضى) ـ بدأت اقول لهم ما اقوله لنفسي .. كيف ان الحياة هذه الراقصة الهمجية بدأت تقّشر نفسها بمحض اختيارها.

أخيرا ، أمامي كراقصة الستربتيز السكرانة في الملهى ـ بطنها تحت الاضواء خارطة ملأى بالرفوءات ، وثديها يتدلى متعباً من ايامه بعد ان أرضع الكثيرين ..

ضحكات المهرّج تحزنني وتجعلني ارثي لجمهوره ، كلام السياسي يبدو عارياً كأن غصنا جرّدَته من لحائه يدٌ سريعةٌ ، وموحشة تبدو لعينيّ القاعة المضاءة ، المأهولة.

اميز على كل شاشة سلطة الاكذوبة . وفي مكان المنصة ، ارى خشبة جاهزة للصَلْب .

حدث في طنجة

في احدى حانات طنجة

قال البارمان ان له كلبا لا يكذب

(كنا نتحدث ، كما يبدو ، عن الكلاب)

فصفّق محمد شكري ملتفتاً الى الوراء

واذا بثلاثة رجال يرتدون الجلاّبيات

يدخلون على الفور ، كأنهم نوديوا ، من الباب ...

سياسة آخر الليل

اذا رأيتَ رجلاً

يركض هارباً في الطريق

ورأيتَ طيف آخر يطارده ، دع الأول يمر بسلام

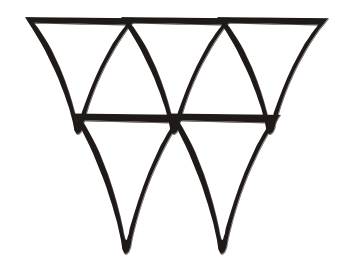
وحاول أن تعرقل الثاني...

الشاهد

ما تبنيهِ اليوم ، قد ترقص في خرائبه غداً.

اذا كنت تبحث عن شاهدٍ

تطلّعْ الى المرآة .



رأيناك على الشفرة

كنت أحلم بأكذوبة جميلة

ووجدت كل شيء حقيقياً يصرّ على التعري أمامي ..

هجمتِ الأحلام من لا مكان قطيعاً من الماشية حطمّ سياجاتهُ -

قوانين الطبيعة نكست أعناقها في هذا الصباح المثمن الأطراف

كجوهرة أرخميدس، وأنا في أثينا طموحي لايتعدى المرور خلسةً

أمام قبر سقراط في « الأغورا » والهروب لمدى غير محدد من مقبرة

التفكير أو الكتابة..

هناك أسباب لكل شيء ولكن أيها الـ (حلم ؟) الـ (الكلب ؟)

الـ (...؟) لماذا تتبعني؟

ركلتهُ الى الهاوية فقام من الهاوية ، قادراً على أن ينبح من جديد.

بيني وبينهُ جريمة ودية ، عملية قيصرية للوهم ، في كل صباح .

وجوه الخراف لم تعد تذكرني بالوطن. تلك المظلة التي تلتهب في

الوادي ،

ويتفاداها المهاجر بحقيبة

ذلك النسر الذي يطير من آخر سماوات الصدمة

لا ليفقس بيضةً للمجد، بل ليدخل مرثيةً جديدة..

المجازفة برأس القبيلة بين مراوح طائرة تستعد للإقلاع من مطار مخـّرب،
الصلح بين من؟ بين « من» و« ماذا» - هذهِ الكلمات وحدها تتراصف الآن كرّف حمام على جدار مهدَّد بالقصف..
عليّ أن أطاردَ كل شيء حتى منابعه ، حتى ترسب هذه النجمة تحت شرفة إنتظاري مثلاً
أو تختفي حياتي الماضية بدرابةٍ كمحفظة سائح في ميناء.

كيف يمكن تلخيص الظلام؟

وهذا الطابور الهزيل من الأنبياء (تجمعت عظامهم في سلة الشعب، أضافت لِحاهم الى أهرائها الأمة) الى متى يهتز ورائي كحبل أبدي للغسيل كلما تكوّم عليه قتيل آخر...
يظهر قبل الفجر بلحظةٍ ، بلحظة واحدة قبلهُ : الألم ثنائي الوجه يهجم بعد حصار طويل...

يقولون : التربة حاملٌ وهالكة من الحرارة ، ثيرانها نائمة تتدلى ألسنتها إلى الوادي حيث القرية تلهث في بريق الأزرار العسكرية .
يقولون ان نهراً من أحذية الهاربين ينبع من محطة أو مطار ،
والمهاجر يحلم أنه يرمي حجراً فيسقط (عبر عدّة بحارٍ) على سقف بيتهِ الذي لم يعد هناك...

هاهو يستنتج : من الواضح أنني وصلتُ حيث تجمد الأرض
سارحةً في مكانها ، وعليّ وحدي أن أدور . فلأدر!

يقولون أيضاً : لاتقلق . سيولد الكثيرون بضربةِمنجلٍ في الهواء ،
بين شريان الخارطة المقتلع وبقجة المهاجر الرثيثة. سترى النبع
أخيراً على ضوء الفوانيس ، على ضوء الحباحب في طين البساتين :
هناك ستغسل شعرك المعفّر بجرّتها أمرأةٌ جميلة ، في بيت طردنا منهُ
الليلَ قليلاً بآخر شمعة ، وطالبت بك معاولنا تطرق بثبات على
صدر الحجارة فنحن رأيناك ترقص على شفرة العالم وتحت
رجليك الهاوية .

إقامة في اليونان

البحّار الذي يحيي المارة من كرسيه
في مقهى الأكروبول ، ويعرف تاريخ الكراسي
يعرف أيضاً أن الرأس الذي آنستهُ أمواجُ كثيرة
ولم يرث الا الدوار، صعب عليه أن يستقر أو يتزن ، صعب عليهِ
وهو صاحٍ أن يتذكر أسماء السُفن
أو يحصي النجومَ التي تنوس وراء دكان الخمور
حيث براميل الرتسينة الغبراء تستلقي
برخاوةٍ تحت الرفوف
كأجساد جوارٍ تدعوهُ بسحرها
تدعوه بإشارةٍ سرية كما دعتني...

هذهِ النافذة المطلة على البحار
كانت بأنتظاري كالعروس منذ سنين عديدة
وتلك الأصوات التي تغزوها مع الريح إذا جاءت ، في الأماسي
البطيئة ، من بحر إيجة

ماهي الا حشرجات البحّارة الغرقى
لسكان الضفاف
مازالت تتدحرج من أعماق الملاحم على ظهور صياديك الضامرين..

إنها عظام المراكب تلطم شواطيء الحاضر

حتى تصل اليوم الى هذا الميناء

على شكل خرافة تكلست بملح المحيطات ، خبر عن أوديسة

مازال يهمهم بها هوميروس من وراء القبر

هو الذي سحرتهُ مياهها الزرقاء في عَماهُ ، فحمّل اليهـِا مراكبهُ

ودلّ أبطاله الى نيران المآدب في عيون الساحرات:

كل فرسخ بحري الى كهف نوسيكا الساحرة -

كل خطوةٍ مقابل كلمةٍ بخيلة..

إنها هذه المائدة التي تهتز على إيقاع رقصةٍ

ضارية في الشمس ، بكأس فارغة الى نصفها ، بصحنٍ

فيه نُوى زيتونٍ، عظامُ دجاجة

حيث أتدرب على الإيماء لزرقة الأمواج ، لطيفُ زوربا الرشيق

لمواكب الفلاسفة الموتى التي أراها

تغادر هذا الميناء مهزومة كل يومٍ

أو تدخل هذا الميناء كل يوم حيةً برايات أنتصارها

والنوارس التي تلاحق السفن بلنتظار زبالة تطفو على الأمواج

هنا حيث أتدرب على الإيماء السالب منذ الظهيرة

وأتعلّم كيف أقتل وقتي كأنهُ عدوي !

كل خطوة مقابل خطوة بخيلة..

وقد أتعثر هذا الشتاء بعظمة بطلٍ

من أبطالك الأسطوريين على الرصيف لتهمس لي

عن الدم الذي جرى : الياذةُ مفتوحة الأقدار كمهبلٍ مُضنى

لن تلتمّ أطرافها حتى يتم إنزال هيلانة

تلك الغانية الأبدية في كل ليلةٍ من أسوار طروادة

الى الأيدي التي تتلقف تحتها ملهوفةً

أي شيء ، أية منة.

ساحة أومونيا في أثينا قبل المساء

بينما تزداد الجموع كثافةً

أمام الدكاكين ، ويبدأ الضياء في الأفق بالخفوت

إيذاناً بحلول المساء..

مع مرور الوقت وإيذاناً بحلول المساء

بحلول مساءٍ آخر، مساء آخر...

بين عربات خشبيةً

كُدّست فوقها تلال من الساعات

(رخيصةً، صنُع اليابان) مزبلةً

لأشلاء الزمان الجنينية! – أحزمة جلدية ، مظلاتُ

كتبٌ قوّرها المطر

وأنتفخت صفحاتُها المجلودة بالريح

في حراسة الباعة الواقفين ، كالنسور

أو ربما خيالات المآته

وسط تيار أهوج من السابلة

تمخضهُ هذهِ المدينة بلا هوادةٍ

كأنها قربة كبيرة لنشوة العبور تمنحها صرفاً

للعابرين...

بينما دائرة البريد

المواجهة للساحة

ذات النافورة المعطلة

غارقةً في سُعارها المعتاد ، ترمم وجه الظلام القادم

بسيل من البرقيات ، ويسحب السُعاة

أكياسَ الرسائل على الرصيفِ

من رقابها -

يعبر الجميع بدأب مثيرٍ

من مكان

إلى آخر، تحت المصابيح القوية ، كأن العالم هكذا

كان منذ بدء الخليقة..

يعبرون من مكان الى آخر

بدأب مثير، كأن العالم ، كأنه –

لكن بائع الكستناء

يعسكر في باب السينما ، أمام صينية الجمرْ

مغسولاً بأضواء النيون العليلة

والعجائز لابسات السواد

يتملّين خروفاً في دكان قصّاب

يتدلى مبقوراً من الحنجرة

حتى إليتةِ الممهورة بدمغة الحكومة الزرقاء..

وبينما المطر يسحّ على السقوف برهافةٍ

أو يتكسر كالسهام على المظلات السائبة نحو القرارة

ينطلق الظلام كالوحش من عقالهِ ليرتاد الشوارع ، حيث يخرج كل

شيء من نفسهِ ، ويطوووووووووووف...

أمسيات نموذجية

عُد من وظيفة مُملّة متمهلاً في شوارع مسائية صاخبة الى شقتك في حي من أحياء أثينا وأجلس أمام نافذة مفتوحة على مصراعيها تاركاً لجبهتك الساخنة ان يبردّها النسيم الآتي من خرائب البارثينون القريبة حيث تعشش آلاف الزرازير صارخةً في الغروب بحماس لا يكل قبل ان تنام ..

ضع يدك حول كأس البيرة ومن احدى الشرفات حيث تسهر أرملة يونانية وحيدة ، دع صوت ماريا كالاس عندما تغنّي أوبرا لروسيني يأتيك من وراء القبو، صاعداً نحو النجوم على شكل حبال من اللؤلؤ أو الفقاعات تكاد تتابعها بعينيك الحالمتين حتى أطراف قبة اللازورد الغامض المتلاشي في الفضاء ، واعلمْ ، آنذاك أنك تحيا.

شتاء في أثينا

ذهبتْ ومضى

في صحبتها الحبّ ، لصيق خطاها

المتعثرة ، الحب ..

سلوقيّ الجنّة يفلتُ ثانيةً

من بين يديك الى الدنيا -

ذهبت منك الآن

ولم تتركْ

لك حتى عنواناً .

سقطت من يدك الكأسُ

وأنت تلاحظ كيف سَرتْ كالطيف

وراء زجاج المقهى

اللزج بأنفاسٍ خاثرةٍ

وسط قطيع المارة والسيارات

الى النافورة

في ساحة " كولوناكي"

(يابسةٌ، ملأى بالصحف

البائدة الأخبار وأوراق الأشجار)

وكيف سرَتْ وسط قطيع

المارة والسيارات الى النافورة

عابرةً كالعمياء

ومعطفها المفتوح يطيرُ

بسيلِ الأشياء وبالناسِ

الى أن غابتْ -

غابت فيهِ..

نهرُ،

نهرُ تعبرهُ صبحاً ومساءً

تبدأ في المنبعِ لكنك تنسى

أين تصبُّ حياتك أحياناً.

الأيماضة الباقية

كنت تنهضين من النوم لتزيحي الستارة ثم تعودين اليّ في السرير، تتبعك هالة من الغبار الذهبي الذرات أمرر فيها يدي المشعرة الغبراء ليغسلها شلال أشقر من النور. واليوم، حين أزحتها الى اليمين، شبه نائم، في الضحى، وتدفقت شمس أثينا في غرفتي، رأيت جوربكِ المرنسي فوق ذراع الأريكة يتألق مهملاً في النور، شفافاً كبيت العنكبوت.

كم من الوقت مضى، من كنا حينذاك..
رأيتُ قطرات الدم القديمة في المنشفة البيضاء وقرأت، متلكئاً، كلمات لك في رسالة شرسة اللهجة بعد يأس الإطالة الأبدية، في غضب معذور - «لماذا لاتجيب؟ حتى السحالي تضيء طوال الليل وراء بيتي بانتظار جواب، والبزّاق يرتع آمناً هذه الأيام في صندوق بريدي. الطقس هنا ضارٍ كما في قلبي: تقتلع الأعاصير من جذورها الأشجار، وتلقي بالقوارب الصغيرة عالياً فوق السقوف..»
هل تهجم الريح الآن، عاليةً، من لا مكان..
ريح الذكرى التي تدعو الى النزول، ريح الغياب على شفرة الذكرى. أكلما اندفع نحو ظلامه العفوي قطار، سمعنا الحب يهدل

تحت العجلات؟ ماذا فعلنا بالهدية ، بتلك العوالم التي رأيناها ، خلقناها من الأحاديث الطويلة على سطيحة مقهى في ظلام السينما، بين الشراشف البليلة عن كل شيء في هذا العالم المسحور. من فتح النص الجريح، في أية هاوية للزمن أختفى. ماذا حدث لتلك الخليقة. في اية أحراش بائسة يقهقه " الكاكابورا" ذلك الطائر الضحاك في بلادك التي لم أرها (كنت تقلدين صوتهُ الهستيري احياناً لتطردي عني نوبلت الكآبة!) والطيور الغريبة الأخرى في اوستراليا البعيدة حيث سافرتِ قبل الشتاء..

كم شتاء، أين، متى ..

وهذه الرغبة التي تزورني في كل مساء ، هذه الريح ،

هذه الشهوة التي لاتعرف الأكتفاء، أنها تومض قليلاً كتاج دفين تحت القشور، في سورة طافحة من الأيام الى أن يجتاحني مدها العميق بعيداً عن هذه الغرفة حيث أهذي لها، وأصغي الى صداها...

رَمبيتيكو

(موسيقى يونانية)

يقول البحّار اليوناني العجوز

لعازف البزق البدين في حانة الإسكندر

بلهجة هازئة، بعد كأس الأوزو ما قبل الاخيرة

والليل ينضج كساق خروف على سفّودهِ الصديء

والتثاؤب ينمو كالفِطرْ

بغزارة في حديقة الحانة:

"حان لك الآن أن تعطينا

شرارة من نارك القديمة أيها الرجلُ ، حان

لهؤلاء السياح المساكين أن يسمعوا شيئاً

لن ينسوه حين يعودون إلى بلادهم بسهولة

ودعك من الدوران يا يورغو، دعك من الدوران.."

أو شيء من هذا القبيل...

دشنّ الآخرون بتمتماتٍ متفرقةٍ ما عناهُ.

وهكذا، بينما تحرق بُنصرهُ

سيجارةٌ يشعلها يورغو بثقابٍ مبطيءٍ

مغمضاً إحدى مقلتيهِ ، فيما تدمع الأخرى

ويشهرها كآلة تعذيب بين أوتار بزقهِ

المزخرف بالغار، يبدأ العالم

بتقشير نفسهِ ، كالبصلة ، قشرة بعد أخرى

أمام الليل المقيد بأعراش أثرية

لن يزيحها لا ملوك الإلياذة

ولا بحّارة الأوديسة

حتى يسقط مذهولاً

في راحة النشوة

ويبدأ الإقتراع على رأسهِ ، ويجري أنتخاب العذاب ديّاناً عليهِ

بأكثرية الأصوات...

الراقصة

حين تركتُ السينما
اكثر وحشة وفقراً واصطدمتُ بالظلامِ
في أثينا كالجدار، بين كشك الصحف المضاء
بالفانوس، والمقهى التي تعجّ
بالمراهقين والجنود
قبل أن تعتاد عيناي على النور
رأيتها تطل فجأةً -
" إلزا " الخرافية في طريقها
اليومي من فندق "مينرفا " الى الملهى
القريب خلف دار السينما
حيث تمارس طقوس الوثنية بشكل عفوي
وبإتقان على خشبتهِ ...
رأيتها تميلُ
كالشراع في ريح خفيةٍ
يكاد خصرُها ينهار فوق كعبها العالي
وكَفَلها المنيف
كأنها مالكةُ شرعيةُ لذلك الرصيف.

النورس الذي يتبع السفينة في البحر

النورس الذي ما زال يتبع السفينة في البحر منذ ان غادرت الميناء،
ويحوم فوق رؤوس المسافرين كالعلامة ، فوق سلّم من الدخان
تجدلهُ مدخنةُ كبيرة تحمل أسم الشركة ، وعلامة المرساة..

النورس الذي يركب الريحَ ناعقاً من أجل فُتات قد تلقي بهِ تلك
الظلال التي تجول سأمى على سطح السفينة ، بين المصاطب
وأكوام الحبال ، تتدلى من أعناقها الكاميرات -

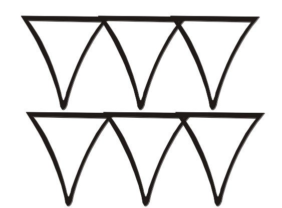
أولاءَ الذين هربوا من مُدن الغرب الموبوءة الى البحر وأفلتوا،
لوهلةٍ ، من طواحينهِ المسعورة لكي يتشردوا في جزر اليونان ،
ويعرّوا أجسادهم للشمس..

المطلّقة الولهى بحثاً عن مقيّدها الجديد، من جزيرة الى جزيرة -
مربيّة الأطفال ، محظية السمسار، حلاق النساء المتصابي ، عازف
الجيتار المدمن على المخدّرات ، والممرضة الهاربة من عالم
الآلام.

توحدت أقدارهم لهذه المرة، أسرت قلوبهم موسيقى واحدة : أن
يعرّوا أجسادَهم للشمس ، ويتشردوا في جزر اليونان .

النورس يتبع هذا الهودج الغريب الذي يفرّق من أمامه الأمواج ، الى أن تبدو الجزيرة في المدى السديمي الأزرق تحت ستار خفيف ، متحرك من الضباب بعد ساعات ، كثدي امرأة نائمة في الماء تحرسهُ غابة من الصواري.

ويبدأ جمع من الأطياف على الرمال، من باعة اليانصيب ونُدل المقاهي والكلاب ، بالتململ وراء سياج الجمارك عندما ينهض من كرسيه متثاقلاً دركيّ مترهل كدلفين عتيق ، ويفتح لاستقبال سفينتنا بوابة الميناء ملوِّحاً لقطيع السيّاح الجديد بسلسلةٍ ضخمة من المفاتيح..



أغنية للسائر إلى نهاية القرن

ستسمعُ الريح

إذا سرتَ هذا المساء

حيث لايسير أحد سواك

عندما تأتي

ضاربة من جهة المذابح وساخنة ً كأحشاء آب

لترفع جريدة الأمس من بين قدميك

وتصفع بها الجدران

أو تجعلها تلثم وجهَ الإسفلتِ

مراتٍ عديدة -

الريح ترفع الجريدة

والنار في كل الجهاتِ

داخلا ً وخارجا ً حيثما سرتَ هذا المساء

تلتهم الناس والبنايات

لكنها

لاتحرق الأسوار...

الوجه الرهين

تسيرُ واحداً من العِباد

في الزُحام الذي يملأ الطرقات..

الثعلب يسعى في إثر فريستهِ ، تمشي

شبهَ نائمة في سبيلها ، والكلب ينبح أمام القافلة.

أو تجلس كعادتك في كل أمسيةٍ

أمام شاشة تلون لك الأخبار

تلك الحرباء الألكترونية ، ذلك الجدار الشفيف

كوجهك الرهين حيث تحب الاختباء : بابُك محصن ، وإليكَ

ما من طريق . لاممر من هنا

الى هناك .

اذا قالوا: هناكَ ، في الجنوب ، نارُ كبيرة

والشعب يهرب في كل الجهات

لأدرتَ وجهك نحو الشمال

اذا قالوا الآن

تغيّرِ كل إشارةٍ مجراها

وبينك وبين ألسنة اللهيب ، وبينك وبين الرصاصات

مسافة لم تعد تراها- مدينة تُبادُ عن بكرة أبيها، تصعدُ

الآن من أشلاء ضحاياها

والآن يرجم الأطفال وجه يهوذا في كل مدينةٍ بالحجارة

لمضيتَ تدقُ كأنك ساعةُ مكوّكة على نفس الوتيرة...

في كل الملمات ، برهنتَ أنك ندّ لأي ثعبانٍ

وتبيّن أنك صُنو الدودة.

من طوكيو الى نيويورك ، منذ بابل وروما : سمين كجرذٍ

في زمن الطاعون.

حيث يغرق الآخرون في الطوفان ، تعرف أنت كيف تطفو

كالفلّينة على الأمواج.

أعرفُ أنك حاضرُ كلما أحسستُ بالقشعريرة

تهاجمني في وضح النهار..

حبيب الولاة الولي في كل مكان -

حيثما نهضت خرابةٌ، في مكان البيت المضاء

حيثما حامَ فوق وجه الطبيعة الغُراب

حيثما وُجدت هذه الأشياء

أنت ذو الوجه الرهين

أنت أيضاً هناك..

تسيرُ، واحداً من العباد

في الزحام الذي يملأ الطـُرقات.

لكن أن تسهر قلقاً من اجل البيت والسيارة

وتتفانى في تأدية الوظيفة بينما تُحسّنُ سلوكك في السرير

قد لا يقدّم برهاناً كافياً على أنكَ لستَ واحداً من الأموات.

بعد القيامة...

(مرثية الى الأحياء)

ستذكر كيف كانَ المذيع

ينق بالأخبار كالضفدع في كهفهِ الشفاف

ويطلق فقاعات الموت من فمهِ

متشدقاً عن مزايا

التكنولوجيا

في صنع الأسلحة الفتاكة

بينما ترى التاريخ في عينيهِ الفارغتين يَدْمى

ونهر الدم يجري...

ستذكر ولن تنسى

ولن تريد ان ترى ماتراهُ

ستذكر قوائم إحصاءاتهِ السهلة الجريان

على زجاج الكومبيوترات

وسوف تلاحظ كيف يحاذر ان يقول

كم أماً وطفلاً من بلادك

يموت في كل غارة.

ستذكر الألوانَ ، والاضاءة القوية ، والمكياج الثقيل.

إنكَ لن تنسى

بريق النشوة المخلوط بالامتعاض حين سرى

في عين بائع السلاح الأشكنازي بينما هو يدعو مجدداً

الى تصعيد المقتلة

ويحذر من التهاون في قصف المدن العراقية

سواء في الليل او النهار...

لن تنسى الدلائل والحركات

أنت الذي حلمتَ في كل شارع بالقيامة

وسبرتَ العار في كل وجهٍ ...

ستذكر أم الأربع والأربعين

وكيفَ تسعى !

ستسمع محاضرة الجامعيّ المأجور، وتلمح وجه

اليربوع المُداجي

وتقابل وكيل العنكبوت

في ركنٍ من قاعة المؤامرات.

ستذكر عيني الذبابة

التي لاتبرح عرشها في بيت الخلاء!

صفرُ لهذا التاريخ، لينتهِ القرن العشرون

لتسقط الصخرةُ على رأس الأفعى .

ستذكر الكلمات

وكيف تباع في كل سوقٍ ومبغى وجريدة.

راغبون كلهم ، يهوذا منا كما يبدو
كليوبلترا ترنّق مرآتها
بانتظار القيصر
والثعبان يقبع في سلتهِ آملاً
كأنهُ سقطَ لتوهِ من باب سرّي في التوراة

(« أسدَ الترابِ » -
كان يسميه العراقيون القدامى!)

لتسترجع تكشيرة النصر والابتهاج
بموت الأبرياء في وجه المطية البلهاء
عندما جاءت الى واشنطن كممسحةٍ ، للزيارة.
ستذكر كيف إستقبلها سيدها قائد المرتزقة

ونظرتهُ الاخرى تقول
هاهو الأعرابي الطيب الذي
نصبناهُ لخدمتنا هناك، انهُ وفيّ
يحب التقدم ، ويريد ان يشتري منا بعض الحضارة
لذلك سنعلّمه كيف يستعمل الكومبيوتر
للتفريق بين الكمثري والبواز !

لن تنسى نظرته الأخرى ، وإن هذا ما تقول.
كيف تزدحم اللحظة بثقل العالم المقتول.

لحظة الألم المتأصل في قلب الساعة المقهورة

حين يسبح كل معنى

في بركة من دمه ، صفّو له ...

ستنسى ما يهذر به لسانه الجسور

لتذكر ما ينكره قلبه الجبان:

لتسقط الصخرة ...

ستذكر الأخاديد

على كل شاشة بذيئة في الغَرب

عندما تبقر مدن الطفولة ، والجسور عندما تتدلى

كأضلاع ربٍ قتيلٍ فوق دجلة والفرات

ولن تنسى ...

قال المذيع إنه يتوقع سقوط المطر

فحلمت في تلك الليلة بالطوفان.

شباط - نيسان 1991 سان فرانسيسكو

المحطة

تمشي فتدفعك الريح من الوراء

باردة كأنفاس مقبرة

من نفق المترو نحو مطلع الدرج :

عامود أسطواني تغطيه الإعلانات

عن كل شيء من أحذية النساء الى مواعيد المظاهرات -

كشك السجائر حيث تشتري علبة الدخان

وتقرأ بعض العناوين

عن أرضك البعيدة حيث الحرب

لا تنام ، منحنياً قليلاً تحت ثقل الحقيبة

تحت ضربة المناخ البارد عندما يلسع خدّيك كسوط حوذيّ

ميت في خارج المحطة ...

صيحات المسافرين

ما زالت ترن فارغة بين الأنفاق حتى بعد أن تفرقوا

في الطرقات الجانبية ولن تراهم في هذا العالم ، على الأغلب ،

ثانيةً

لكن تحت دمائك عاصفة من صيحات أُخرى

لا تكف عن الأنقصاف

كالرعد في الجبال التي عبرتها ليلةً أمس

نصف نائم

آتياً من أسبانيا إلى فرنسا ، بالقطار -

لأنك تمشي

والوجه البشري جريح

يأتي لينام تحت أقواس المحطات ..

لأن الوجه جريح يأتي لينام ، وحياتك نهر من الطين والدماء يجري

تحت أقواس المحطات، بينما ينصب الموت شاراته

في غابة أيامك أحياناً للتذكير بوجوده

من بين الأشجار وأنت تمشي

والصباح ينزل ميتاً كرداء أرملةٍ

على سياج المنافي، تحت صفوف النوافذ الأجنبية.

والروح تصارع الأسلاك.

والأرض تدور ...

إبنة البقال الحسناء

بأية سهولة

ينحر العالم حلمنا الجميل

وكم مرة ، على يد الصدفة العمياء

أو سكين الغانم والأبله والحيّ -

أن نعبر النهر مرتين ، وينتهي بنا المطاف

على هذا الشاطيء الموبوء ، في هذا

الحلم المليء بالدخان ...

نفتح باباً لا نعرف إلامَ يُفضي

ونجهل أين تقودنا خطانا.

أنا في زاويتي أتحا ...

أتحاشى أن تلتقي بعينيكِ عيناي

وأغبّ كأساً مغشوشة أخرى

كلما فكرتُ بأنكِ قد تذكرين

إذا لم تكن الأيام في عصفها المجنون

إذا لم يكن نهر الرجال عبر الليالي الغُفل أودى

بأية إمكانية للذكرى

بعد أن خرّب سدود الذاكرة -

وكنتُ سأمرق عبرهما ساهياً كالغريب
لو لم أرَ فيهما خرائبي ...

هنا أنتهينا ...
بأي سهولة ينحر العالم حلمنا
وكم مرة.
وكنتِ أنتِ ، ماذا ؟ شهرزاد الطفولة ؟
غرقتْ في عينيها المراكب حتى قبيل إبحارها ...
بدر القبيلة عارياً على السطوح
في ليلة صيفية.

باكراً منّت عليكِ الطبيعة
بكل ما في الأنوثة من مزايا؛
يتبعك الرجال في الأزقة وأنتِ ما زلتِ صغيرة
بعيون نصف مغمضة يموّنها توق الكلاب
حتى إن واحداً منهم في إحدى الليالي
دبر خطة ذكية للأختطاف
لكنك كنت خطيفة
ذهبتْ برضاها
ذات ليلة قمراء ، في سيارة أُجرة
مع الوافد الجديد على المحلة.
قيل إنه دخل السجن أكثر من مرة

حتى أصبح السجن فندقه المجاني يزوره
متى شاء ، وقيل إنه ذئب في جلد خروف
له مسكنة المحتال ، لكن طعنات المعارك الليلية
تركتْ في وجهه أكثر من علامة
تدلّ على أصوله النبيلة ...

تقفزين مأخوذة عند وصوله
وترمين الستار ، هو المتكيء كطيفٍ وفيٍّ
أمام بابكم لساعات ، في يدهِ ساعة مسروقة
تتدلى من سلسلة
يؤرجحها أمام عينيك كل مساء
ويطل من جيب سترتهِ منديل ملوث
يلائم بدلة الجبردين المستعارة.

ذهبتْ نصائح البقال مع الريح.
ذهبت، حتماً، مع الريح وتجرّعتُ كأسي
الأخيرة...
إن كان مقصراً، أنت الدليل على
تقصيرهِ سوى ان العالم في جورهِ كان
أقسى؛ أنتِ الدليل

تقفزين مأخوذة عند وصوله ، وترمين الستار!
لكنه سرعان ما أزاح ، ذات يوم

عن كل شيء

لعينيك العسليتين ، النِقاب.

بأي ضراوة أزيل ختم البراءة ، وأستبيحت
الأسرار.

مزّق كل غشاءٍ

ثم دحرج الصخرة على القبر

ليكشف أخيراً عن هويتهِ الحقيقية

وأصبح ثعلباً أمام ذئب أخر

هو في الحقيقة سيدهُ، له طاولة خصوصية

هناك في مركز الملهى

حيث يتربعّ ضفدعي الأبعاد تحوم حولهُ

حلقة من البغايا يضحكن لنكاته

البذيئة ويُشعلن لهُ السيغار...

الوجه

ذلك الوجه

الذي مررتَ بهِ

على الجسر

فوق مقبرة مونمارتر البيضاء

المطمورة تحت الثلج بكل موتاها

لامرأة باكية تعض يدها

جاهلةً أين تسير

لا

تأبه للريح

اذا رفعتْ ثوبها فوق ركبتيها

لا تأبه للمارة والسياراتِ

منذ تلك اللحظة أصبحتَ أسيراً لهُ

حتى صرتَ تكاد تراهُ

كلما عبرتَ أحدَ

الجسور.

مرثية البيت

كنتُ قبل أن أغادر البيتَ

أصغي

الى جسدها النائم قربي كأنهُ نهر يجري في ألفةِ واديه ،

وأسمع النشيج ...

أسمع تحليق أجنحةٍ

خفية تعبر فوق رأسي

وغناء امرأةٍ ساهرةٍ على ضفة في بلادي

تشكو من غدر الزمان، ومنذ تلك اللحظة كنتُ أمضي

ناسياً كلماتي الى معاركي وأيامي

ومنذ ذلك اليوم

أشربُ الماءَ الذي لا يروّيني

ولن يغسلني...

شجرة أمام البيت

أرى شجرة السنط الكبيرة تميد إلى الجانبين في الريح
مسعورة الأوراق كامرأة مجلودة تحاول الإفلات
ثم تهدأ شيئاً فشيئاً
كأن عاصفة حبلى بويلاتها أسقطتْ حملها الباذخ في الطريق...

أرى كيف تعود أوراقها
الى أرتعاشها المألوف كحراشف سمكة مذعورة أفلتتْ من يد
الصياد
وكيف تستوي أغصانها ثانية على لسعة البرق الصامت كلسان أفعى
قبل أن تنشق صخرة الأفق نصفين وينهلّ منها المطر.

مراجعات

مراجعات مليئة في هذا الليل ، حساب لولبي

يترك دوامات من الأرقام

تنتحر على شواطيء الكلمات كمراكب تشتعل في الأفق

لأوهام تحاول إستعادة أعراشها

وقد تنجح ، أسوةً بهذهِ السبل التي تنادي

مطالبة بالأقدام من جديد.

مضى الآباء منذ زمنٍ، واختفى آخرهم خلف الهضاب

لكن الجنود بقيوا؛ دماء في كل مكان ، حرب على كل جبهة .

آلهةُ هنا وهناك

تنطفيء بسرعة الإشاعة او المعجزة المداسة تحت الأقدام

وهذهِ الكلمات وحدها

في نافورة الضوضاء أو جحيم التجارة

بين جدرانٍ تقوضت واخرى ستبقى واقفةً

هذهِ الكلمات وحدها في عالم متبجحٍ وقحٍ، في جمجمة القيصر

أو ضحكة بهلولهِ

لاتيأس من طعنة الرغبة المتجددة في مركز الجسدِ

او قيام الميت من قبرهِ : وحدها

لاتفلت الزمام .

عينا امرأة في التيه

" عيناك غابتا نخيل ساعة السَّحَر"

السياب

الآن والمطر الرتيب

يجعلنا نستحضر أشياء كدنا ننساها

والضباب يلف هذهِ المدينة

بعد أن غطتها الثلوج ونامت

مثل أميرة، مثل أميرةٍ كانت متسولة في النهار

هل نذكر كم متاهة كان علينا عبورها ، المسالك التي

أوصلتنا، المعابر المنهارة...

أنتِ منذ سنة

ولي عشرون في الطواف.

تكلمي اذاً

خبريني حتى يحين الفجر إن شئتِ ،

عندما ينسل من مفرقٍ في الستار، وتبيضٌ من حولنا الأشياءُ

ساعة السحَرِ وقولي

قولي كيف جئتِ ، بأي طريقٍ

كم « تأشيرة » تزين جوازكِ الآن .

كم حارس فالت الفك تملآكِ على مهلهِ بعينيّ ذئبٍ

كأنكِ شاةُ، كم جمركي عبثت يداه

بأشيائكِ الحميمة ، في أي المحطات.

أذكري كم من الحدود عبرتِ

وقطعتِ من المسافات حتى وصلتِ

من قريتنا المنسية في طرفٍ من بادية العراقِ

الى هذه الضاحية المسلولة

في " عاصمة الضباب"؟

خبريني عن هذا الزمن المحتال

واذكري كل العقبات...

بينما يتحدثون هنا

عن الطقس الرديء دوماً

أو تدهور العملة المستمر

بينما يتحدثون عن موت ممثل أوغراميات أميرٍ

كيف نستعيد نحن العالم الذي كان!

لندن في أعيننا قلعة أشباحٍ.

" التيمز" مجرد جدولٍ

من الحمأ الكسول

لايشبه كثيراً نهراً لنا أسمه الفرات ،

ذلك الهدار

الذي نهضنا من ضفافه يوماً

ننفض من لحمنا الساخن حبات الرمال

وعدنا اليه بعد ذلك مرار، وها نحن ندور

في دواماته الآن ، عارفين أن هذا

العالم المقرور حيث التقينا

بصدفةٍ لاتصدق بعد كل هذه السنين

وأنتصرنا بذلك قليلاً

على "هذا" الزمانِ، ليس غير محطةٍ

للأنتظار، ونعرف أن امامنا رحلةً أخرى

الى عالم تالٍ

ونعرف أننا نُجر اليهِ .

الى المغني في وليمة السحَرة

أوهِمْ صوتك إن العالم مازال يحب

ويطلب أن يسمع أغنية وينادي أحداً خلف الأسوار

فصوتُكَ درويش حافٍ يعبر بضع تكايا وكوجهك يشعله البرق

ولكنك تكذب فالليل طويل حيث تغني...

بعد الألم

بعد ضربة الألم الخاطف كالبرق
وأنتشار ناره الزرقاء في سماء رأسي

بعد أن تكتسي الأشياء
بنارٍ فوسفورية هادئة وتبحر فيها

كمركب بلا ربانٍ رنّحتهُ أرتطامةٌ
قوية بالصخر

نحو هاوية تتقاطعُ في أسفلها
شرائح بنفسجية من النور، واجساد ملائكةٍ

لها أجنحةٌ مقروحةٌ
لاتكفُّ عن الأختلاج والخفَقان...

شعراء في المنفى

الشعر حديثُنا ، وليس لنا حديث آخر

كيف يولد ويموت

كيف دفعوا للنُدّاب أجرَهم بعد الجنازة

وأقفلوا الباب ، لكنهم نسيوا

أن يدفنوا الفقيد ..

الشعر حديثنا ، كيف يحسب أيامه

من مات من زمنٍ ، يذرع المحطةَ بأنتظار قطارٍ

ولا أحد سيأتي

ليطردَ السماسرة من المحراب ..

كيف إن شاعرَنا الذي تسرقه شهرته

ويلتفّ بها كالوشاح حتى في عز الظهيرة

عندما يكتب بريشته التالفة ، في العُطل الرسمية عادةً

عن مواضيعه الأثيرة ، لا يعرفُ أننا

أتينا ، منذ زمن ، على الرغيف

بينما كان يتحدث عن الخميرة ..

- إذاً فهو ما زال يحتل مكان الصدارة

في زوايا " الصفحات الثقافية " ؟

- ويلوك نفس الأعشاب ..

المغني الغني ، البهلول والنبي ، لم يعد يسحرنا لسانُ الخطيب

والأوهام المتاجر بها في جماجم المحرومين كلعبة المرايا

لم تعد تسلينا حتى بالغضب ...

هكذا كنا

نغتصب صمت الليل الذي خلا

إلا من سيارات عابرة أغلبها للأجرة

نلمح فيها سكيراً يكلم نفسه أو رجلاً يداعب إمرأةً

قبل أن تختفي في الظلام ، وما زلتُ أستعيد صوته الأليف

صوته المتنمر في لهيب المنفى

في الطريق

الى فندق " كوجاس" حيث أنام

ليلتي الأخيرة ..

هناك أومأ صديقي

بأتجاه السوربون حيث وصلنا

إيماءة الحنين ، الى طالب يكتب شعارات

بفرشاة صبّاغ على الجدار

شاخصاً بعصبية الى المداهمة

لكنه لا يأبه بالسابلة .. ـ

وهذا ما كُتب على الجدار:

لنقوض هذه الأنصاب

فمن شُيدت بأسمه لم يعد من نريد

ولنستعمل حجارتنا في بناء كوخٍ آخر

لمتشردٍ جديد.

الى زائر بعد القيامة

إن جئتَ لتطرق في آخر ليل

التاريخ على الباب ، وقد نام الجلادون

على أشلاء ضحاياهم

إن جئتَ أخيراً

لتحقق حلم التعساء المجروحين

بآلائك

بعد نزوح الطوفان

وآخر صرخات الحرب..

وإن فتحتْ لك حواء

تفرك ناعسةً عينيها

فأزح حواء الى جانب

وأركل بحذائك

(وأصِبْ!)

رأس الثعبان

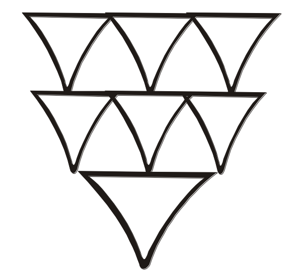
ليعود الى كهف التوراة على عجلٍ

ثم أغرزْ عِقب السيجارة

في شفتي آدم

وأسأل هذا المخلوقَ لماذا

وابدأ بالإستجواب..



عقدة السندباد

كان السندباد يصل دائماً

الى تلك الدورة الموسمية التي تأتي

بتوقيت أكيد

لتجرش دمه الخامل من جديد

كأن ساحراً متحمساً يدير عجلة للمصائر في الخفاء !

الى ذلك اليوم الذي يقول

لنفسه فيه:

" لم تعد تفيدنا الأعذار

بعد الآن ، لم يعد يفيد البحّار أن يتظاهر بأنه

حمّال يتبع أذيال الجواري

لقد حان الوقت، وسمعتَ

النداء .. الى البحر ، الى البحر أيها السندباد ".

بعد أن ظل يُصغي

الى الريح التي تهب من البحر ليلاً

نافخةً ستائره ، كأنه يُصغي الى صوت

الزمان ويلمح واجفاً وسط لياليه

في أحلامه الرتيبة عن المراكب والأمواج

العالية كالجبال ، ذلك الخيط الأزرق البتول يدعوه منتحراً

على شفرة أحتلامه ، فيلقي برأسه أمامه لآخر مرة

ويشد شراعه في النوم ليعودَ الى الماء

وربما الى قدم الرخ المجنون

عندما يؤرجحه مرة أُخرى

كطفل عبر الفضاء .

كلام من البصّارة

(للمولود في برج الدلو)

أفعل ما تريد ..

يممُ وجهك صوب جهةٍ

غير معلومة ، وأسبح في جميع الأنهار إن شئتَ

كن هبة لكل تيار لكن لا تتلكأ في باب الساحرة

لا تجرِ وراء بريق المرآة ..

فجرك قصير وثابت

شمسك تحتمي بأكثر من ستار.

كل غاية سهرت من أجلها الليالي ، كل محالٍ

يسهل الآن أنتظاره ، بعد أن قطعت حبل الحيرة

والتقتِ المرساة بالقاع ..

أرى هنا سفراً الى البعيد

لكن البحر الذي تنوي عبوره لا يضمر غير عاصفة

ويل من يلاقيها وحده في العراء

وها أنت وحدك في سفينة ، وأُصدقك القول

يا ولدي

إن البرقَ ولا ريب سيملأ الآفاق

لكنه لن يكسر الصواري.

مدينة

« المدينة كتابة »

رولان بـــارت

ستخلف وعدها

أو تستميت لكي تسلينا بسرّ

لم يعد سراً ، كأي مدينةٍ أُخرى.

كأي مدينةٍ أُخرى دخلناها

وعرتنا بأيدينا : ضحاياها ، ولكن سادة فيها

تهدّمنا ، ونبنيها ..

هناك الليلُ :

قتلاهُ ، مشاهده

مكفنّة بأضواء النيون -

هناك وجه السر (مهتوك

ومغتصب الى حد ، كما قلنا) تحاول أن تخيطَ

له بكورته

بموسيقى مدجنة ، أصابعُ عازفٍ

في البار، أسطوري !

وراقصة لها سعرٌ تخدّر شوكة القلب

ولكن محض تخدير ..

وعند نهاية الليل تُقدّم لي

هداياها ، وجدراناً مصورة لتنويري:

عجوز يرتدي بيرية حمراء في أعتاب ملهى

أو لعله باب ماخورٍ ، ينادينا

ينادينا بإلحاح

ينادينا الى عالمه السفلي

منحنياً بأبهةٍ ملفقة لمن يأتي

ومن يمضي ، لهذا الظل أو ذاك

لظل عابرٍ - أنتَ ؟ - وحيداً تحت باب

السينما

حيث يلوّحُ في الهواء، مسدساً

بطلٌ

تحيط به الخرائب ، والمباني

تحت رجْله في أشتعالٍ

بينما إمرأة تلوذ بصدره العاري

مولهة وساحرة ً ، وصاغرة ً !

تكاد تموء كالقطة.

تصاوير ..

وفي الأعلى

مزيد من تصاويرَ - مغنٍّ ضاحكٌ ما

(ماريتكيّ ؟) له صف من الأسنان

يوحي في تراصفُه بمَدْرجة البيانو

أو سياسي يطُل على الجموع بوجهه الصاحي

وإعلان تمزّقَ ، وأمحى الوجه

ولم تبقَ سوى الربطة .

الى مغني "الكانته خوندو"

(في ألمريّة بالأندلس)

أمام هذا الجدار ، أمام جدارٍ
من الوجوه الغريقة في الدخان مغمض العينين
بانتظار أن يبدأ عازف الجيتار ، ومسبل اليدين فوق ركبتيك
على كرسي صغير من الخشب ...

تصغي الى نغم
لا نسمعه، آتٍ
من قرار ليس بوسعنا أن نخمّنه؛ تُصغي اليه
آتياً من دياميس مجهولة في القلب حيث
تعرف كيف تحلق وحدك -
حتى إذا أخذتك الرعدة ورمتك
بعد التحليق هناك مراراً
رأينا كيف تعبر ضربة الآلام كظل سحابة في الظهيرة
من وجهك الشاحب المتوتر
الى صدرك المستعد لطعنة أخرى.

رأينا كيف تستقبل السكين
فالطعنة لك، وحدك الحي هنا: لك وحدك أيها المغنيّ
يُفتح هذا الكتاب بعد أن صار لحماً

تُقلِّب هذه الصفحةُ من اللهيب.

ويمكنك أن تسبح أمامنا

في نارك الأنيسة هكذا

تمد صوتك الجريح جسراً إلى بلادك حيث لا

نجسر أن نَرود -

إعلان مخاضاتٍ ، والبشرى

في ساقية تجري ، أم إن شظايا تتقلب بين الأحشاء

حتى تولد في دمائك الأغنية العميقة -

خبير بتفصيل الجراح ، من أية

مدرسةٍ للمواجع أتيت

من تبكي ومن تدين ، لمن ترثي -

ربما لمن مات ، أو من لا يولد

ولا يستطيع أن يموت ؟

أيكون هذا الهلام المجبول

بالخرق المتبقية من تضميد الجراح

هذا التنين الذي يمّج دخانه

محنيَّ الرقبة بانتظار السيف الساقط من شفتيك

إذا تعانق هيكل الآلام ؟

ها هو يركع في فضاء الحانة

محني الرقبة بانتظار السيف منذ الآن -

إذا كنتَ تريد أن تُبيح دمَهُ ، فهو لك :

خذه ، كرأس عدوّ بضربةٍ وحيدة .

فاس ذات الأسوار

هنا أسَروا السراب

مثل ملاك طائش ضل الطريق

الى فردوسه النائي ، وشيدوا من حوله الأسوار .

هنا كف التاريخ عن الدوران حول نفسه أخيراً

أمام باب أبن خلدون ، بعد أن عضّ ذنبهَ

وأستكان ، كما يفعل الثعبان.

على باب المتاهة ، هذا الباب

تصطف قوافل السياح بألوان زاهية

كمئات الببغاوات ، حول دليلها

السياحي ، وباصاتها المكيفة الهواء

مدججين بأحدث الكاميرات

لأصطياد أكبر عدد ممكن من الطلاسم والتحف المحلية

قبل حلول العشية ...

في هذه الواحة التي تتوسط الصحراء

كعين نائم يستهدي بها الدراويش من الآفاق

أنوارَ إنخطافةٍ أخيرة ، والباحثون عن سرّ أو سريرٍ

أو رغيف، على آخر رصيف من أرصفة الأبدية

جئنا نبحث عن " طوق الحمامة "

ووجدنا " الفتوحات المكية " -

الشجرة المولودة من سور الحجارة ، والمقهى

التي تجري من تحت كراسيها الأنهار ..

هنا يتبنّى الفقراء

كل ما توفر من الخرافات

لئلا تظل يتيمة في العراء ، أما الفارس فيذبح التنين

دون أن ينزل عن ظهر جواده

لينال يد الجارية أو الأميرة

في مملكة النعناع الأخضر

والبابونج ، والزعفران :

متاهة كنتَ فيها الدليل

يامحمد الشركي يا صديقي ، تعرف الدربَ

من حصبائها المبلوة عبر الدهور تحت الحوافر والأقدام

أو من خرير الماء المسن في نافورة

لا تكف عن الصلاة في كل منعطف تالٍ ودورة -

" أشرب ياعطشان" في أعتاب التكايا

زمرد الآيات في مرايا الفُسيفساء

خضرة الفراديس في جبة الدرويش

حين يشرب من سبيل، فهو عطشان، على باب الله

لكننا ننتهي

على " باب المحروق" في كل مرة

على "باب المحروق" في كل مرة نواجه أفق المقبرة من جديد

حيث دفنوا لسان الدين بن الخطيب

بعد ان تحول الى حفنة من رماد

وتجلس النساء سافراتٍ

بين القبور

ويلعب الأطفال

في التراب ...

مِكناس

مِكناس للآتين

من بعيد

تبدو كآجرّة بيت

طائفٍ تحت اللهيب

عندما تصبغها يد الضحُى

غافيةً، عاليةً الأسوار

في أبوابها قوافل تنام

بانتظار شيءٍ

تحت أقواس القِباب -

فرسٌ

من دون سرجٍ

أو لجامٍ ، في الظلال ، تستريحُ

ونساءٌ بربريات

يبعن خِرَزاً ، أسورةً

وبسُطاً سحرية للعابرين ..

نهارها واسطة

للأقتراب من حدود ليلها

وليلها فتيلةٌ

أضرمَها بدر الصيام

للنيام الصائمين فوق أسطح البيوت :

عيدُها مؤكد عبر الليالي ..

ضحكها بعٌدٌ إضافيّ

يلوب في مدى أحزانها ، وعُشُّ مالك الحزين

أكبر من دائرة البريد .

ساعة التقمصات

1- في باريس

للحب وجه غائب

لكنك تراه كلما اقترب المساء

في كل مكان

كلما سقطت صورة النهار من إطارها

بلا ابهة، على صفحة الجليد، مرة اخرى

حيث تطول ظلال العابرين بشكل خرافيّ

وتنعكس المداخن من فوق مبانيها

الزرية في زُرقة الثلوج

كأنها أبراج كاتدرائية نوتردام

قبل ان تختمر جثةٌ ليل آخر

في ثُمالة الغسق الأخيرة.

الغسقُ امرأةٌ

تلتف بمعطف كبير من الفراء -

متشرد طامع بالدفء يقتفي خطاها.

انه ساعة للتقمصات، لتجسيد النوايا

لانتقاء الجمرة الباقية

في صحن الرماد، لتأمل صارية مغروسة في رمال شاطيء

طوال ساعات ، أو شراء حذاء جيد
لاقتحام أمسية مطيرة.

خفتَ الضجيجُ قليلا
في طاحونة المال ، وخف إيقاعها
البربري المولغ في الجماجم طول النهار.
هدأت نوافير فرساي ، وانفضّ مجلس ميتران وشيراك.
تعب العبيد كما يبدو
من التجذيف في مركب التجارة السكران
وانتكستْ حتى صباح غدٍ ، رايةُ الربح والخسارة.

حان للمقامر ان يخرج من وكرهِ
حالما بأن الحظ ملاك
يكمن هذا المساءَ بانتظاره
في مخمل المائدة الخضراء، وللبطل ان يمضي
بخوذته وسيفه وحصانه
ليُنقذ آخرَ عذراء من بقية أوهامها
ويصطاد لؤلؤةَ من أقرب البحار...
حان للمدعو فرانسوا فيّون
ان يخرج من حانة يرتادها اللصوص والشعراء الموتى
متسربلا بمعطف الظلام ، ليسرقَ خاتماً
لائقا بعرسه الزهائي

من أصابع الأسقف المأفون

وطفا بودلير على مياه السين

حاملا رأسهَ الناريّ على محفة القصيدة..

في نفق المترو

يوقفني رجلٌ حول جبينه ضمادٌ ما زال يَدمى

ليطلب سيجارةً بإصبعين تؤشران الى فمه

أو عدداً من الفرنكات

وقطارٌ آتٍ من أحد الأنفاق

يُغرق بهديره كلماتنا القليلة...

تجلس الحياة على مصطبة

فوق الرصيف ، مثلنا:

في يدها بطاقةٌ، وقناعها البالي

تحت إبطها ، بانتظار قطارٍ

ويمضي الزمانُ واثقا الى مواعيده

لكنه ينشج في كل لحظة

من الوريد الى الوريد.

2- في ملكوت تولوز لوتريك

في موج الزمن البطيء

الذي يأتي بمزماره السحري

من لا مكان، ليسوق هذا القطيع من النيام

الى متاهة النيون والمرايا -

الى متاهة لها آلاف العيون

الراشحة باللهيب

تطل من جدرانها أشكال نساء

ماردات الى اليمين

واليسار من "الطاحونة الحمراء"

حيث تنطلق الأقدام

والأيدي مدفونةٌ في الجيوب

في الزمن المتخثر

بلهاث كل رغبةٍ كانت سجينةً حتى الان

ينطوي العالم على سرّهِ

كشفرة من الحمّى، في مُدية المدينة المجبولة بالبريق

حاضرا، بلمسةٍ ، للإنطلاق..

هنا كان تولوز لوتريك

ذلك القزم الشهير كما تشير الإعلانات

يرسم مسحورا عبر آلاف الليالي

علامات الأرق الدفين

في الوجوه الليلية لراقصات الكان- كان

باحثا فيها ربمّا

عن ذلك الشيء الذي

تنطلق الاقدامُ باحثة ً عنه الآن.

وما زال الزمان هنا
يشعل أيامه من أعقاب لياليه:
في الأزقة الفرعية ما زالت الحجارة
تصلُّ إيقاعَها الوراثي الرتيب
ما دامت هناك امراة ٌ
تحتمي بثمة جدار
وتسيرُ جيئة وذهابا بكعبها العالي
في وجه الغَسق البطيء الزاحف على بيغال..
غير آسفة على النهار البليد الذي يموت
بشكل مبكر في هذه الأرجاء
بل مشتاقة لمقْدم الليل العميق
وريحه الذكية

عندما ترشدُ أولَ السكارى
الى بابها المضاء، ولحمها الساهر على مستوى الإمكان
من البيسترو القريب حيث تعلو أصواتُ المهاجرينَ
بأغنية جهيرة ، ويسكر العمال
على أرخص البيرة..

الليل في نيويورك

تحت الضياء الساري من الباب

من باب المطعم الى الرصيف

الى الرصيف المقفر إلا من الظلال حيث يسفّر

أطيافه الشتاء..

تحت الضياء الذي يسقط في الخارج على شكل تابوت

تحت ذلك الضياء

أرى البهلولَ الملتحي

يسير جيئة وذهابا على صفحة الجليد

خائضا في ذوبه العكر، لابسا دفتين

من الورق المقوى، كالدروع

وجهاً الى قفا، تُعلنان

نهايةَ العالم الوشيكة

كما تنبأت بها كتب التوراة

ودعوة الى الخطاة للتوبة حالا..

أراه كلما مر بالباب

في معطفه العسكري البللي

على الرصيف المقفر إلا من الظلال

حيث يسفّر أطيافَه الشتاء

تحت الضياء الساري من باب المطعم الى الرصيف ، تحت ذلك الضياء.

وعلى زجاج الباب أرى

كيف تسيح قطرات المطر.

أما هي، ففي زاوية

من زوايا المطعم شبه الخالي، وحدَها..

وحدها تحت صورة القارب الشراعي

في تقويم الجدار(إعلان سياحي عن الشمس

المشرقة في جزر اليونان) تدير ملعقةً برسغ نحيل

تدير في الكوب ملعقة برسغ شديد النحول

تدير ملعقة في الكوب..

عيناها المشرقتان

بفعل الحب أو الكوكايين

بعد إيماءات خفية لها شكل الكلام

تسر بلا وعي ، كومض دخانٍ، من بين أهدابها

مانحةً لي

جولةً خاطفةً

في اعماقها المشرّبة بالإنخطاف ـــ

عيناها تنبئان بالشرق البعيد، سيماؤها تقول

أنها من هناك ...

عيناها

سيناءان

ما زالت فيهما قافلة

تبحث عن طريق الى بئر الحيرة

وسمرتها قد تكون لاتينية

لكن في ملامحها بيت أبيك النائي:

عشتار، إيزيس الباحثة عن الأشلاء

أو مجرد حورية أخرى ما زالت تغني على ضفاف "الهُدْسن"

الموبوءة

لعوليس المقيد ، مسدودَ الأذنين بالشمع

الى الصاري...

هناك في تلك الزاوية

حيث القهوة

ما زالت تُدار، ويحرس احدى يديها

خاتمٌ، لكنه لا يجاهر بالإستحالة !

هي ونادل زنجي يسلك أسنانه الجسيمة مصغياً بكآبة

الى الأخبار، وأنا الذي أشرب

هذه القهوة الموحلة المذاق

نَخْبَ الريح التي رمتْ بي

على ساحل هذه الليلة ، والملاك الأعشى الذي قادني

الى هذا المكان، بعد ان عبرتُ البحار...

وفي الخارج: البهلول والشتاء.

في الخارج، يا ربي، بين ثنايا البخار المتسرب من

فوهات السراديب والمجاري

أبراجا شفافة تعلو

كأنما من قدور ساحرات مدينة

في الأسفل ، تغلي

في ثناياه أوجهٌ شاحبة تمرّ، هياكل عظمية

في معاطفَ من الجلد

تتسلق سلالمَ للحريق

معلقة في جنب بناية، أو تأخذها المصاعدُ الأرضية الى

محطات القطار..

رعاة الليل الباحثون

عن بعض الخراف ، أم عمال النوبة الليلية

ماضون الى هناك ليكدحوا

في ذلك العالم السفلي الذي لا ينام ؟

كم جزّار يشحذ سكّينَه الآن

كم خبازٍ يحلم أمامَ فرنه هناك

بجبال من أرغفة سرقتْ من كم فمٍ

في كم مدينةٍ أخرى

لتشبع هذه المدينة التنين..

ليقتلت خمبابا، ليتجشأ غارغانتوا، ليرتوي بهيموث.

جيوش من الخياطين في غاباتٍ من الثياب

تخيطُ ليلَ نهار لتغطية العُراة –

أطيافٌ وقامات مسرعة

نحو غاياتها المصيرية بين دورية بوليس

تزحف مبطئةً كالكوسج تحت العمارات

أو سيارة إسعاف يسبقها العويلُ

سرعانَ ما يطويها الضبابُ

بين دفتيه ، كالكتاب.

النـهر

بعد ان نام الاحياء

يسهر الموتى على ضوء القنديل

في بستان الفاكهة المهجور ، يلعبون

الورق تحت الأشجار

وأنا أُصغي الى النهر عندما يجري تحت نافذتي

وأسمعُ كيف يختلسُ الزمان خُطاه ...

وحيثما قرأتُ آثارهُ

كأرجل الغراب في طين أيامي

وخَطتْ شعري خيوطٌ اضافية من الرماد.

العابر فوق المعبر ، يعرفُ ان القادم جاء

الريحُ لا تؤسَر بالشبكة

وأنا

لم آخذ الفَرَس النبيلة بل انتهيتُ

الى هذه الغرفة في طرف المدينة

حيث أُصغي الى النهر عندما يجري تحت نافذتي

وأسمع كيف يختلسُ الزمان خُطاه.

طبيعة الليل والنهار

تذكر العين ثانيةً
انها عروس لهذا النهار
يغمرها حضورٌ لا تعرفُ من أين يأتي
ويمر بأهدابها نسيم
تجهل مصدرهُ ..
نورٌ لا يثنيه شيءٌ عن الوصولِ
تشربهُ العيون التي حنّتْ طوال الظلام اليهِ
وترتاحُ في آلائهِ
الأشياء.

يستيقظُ في كيس ولادتهِ
الجنينُ
وترقصُ البذرةُ في
تابوتها الأخضر تحت التُراب
بينما الشمسُ تمشّطُ شعرها
في كل نافذةٍ لاحتفالٍ وشيكٍ أو وليمة
ويعرف من أغمضَ عينيهِ
معنى الفراق ..

ثم اذا ما انسرح الضياءُ

نحو مداهُ

مثنياً عن فجوة اللايقين

الأخيرة

حيث يلد الظلام أنصابهُ

وسامحاً للظل الخائف ان يأتي ليحيا

في ملكوته الشفاف -

تبدأ الساعة بالتوحّم كإمرأة حبلى

وتسحرها أشياء بعيدة ...

يلتفّ الثعبان على غصنه من جديدٍ

ويدعونا للدخول الى الحديقة

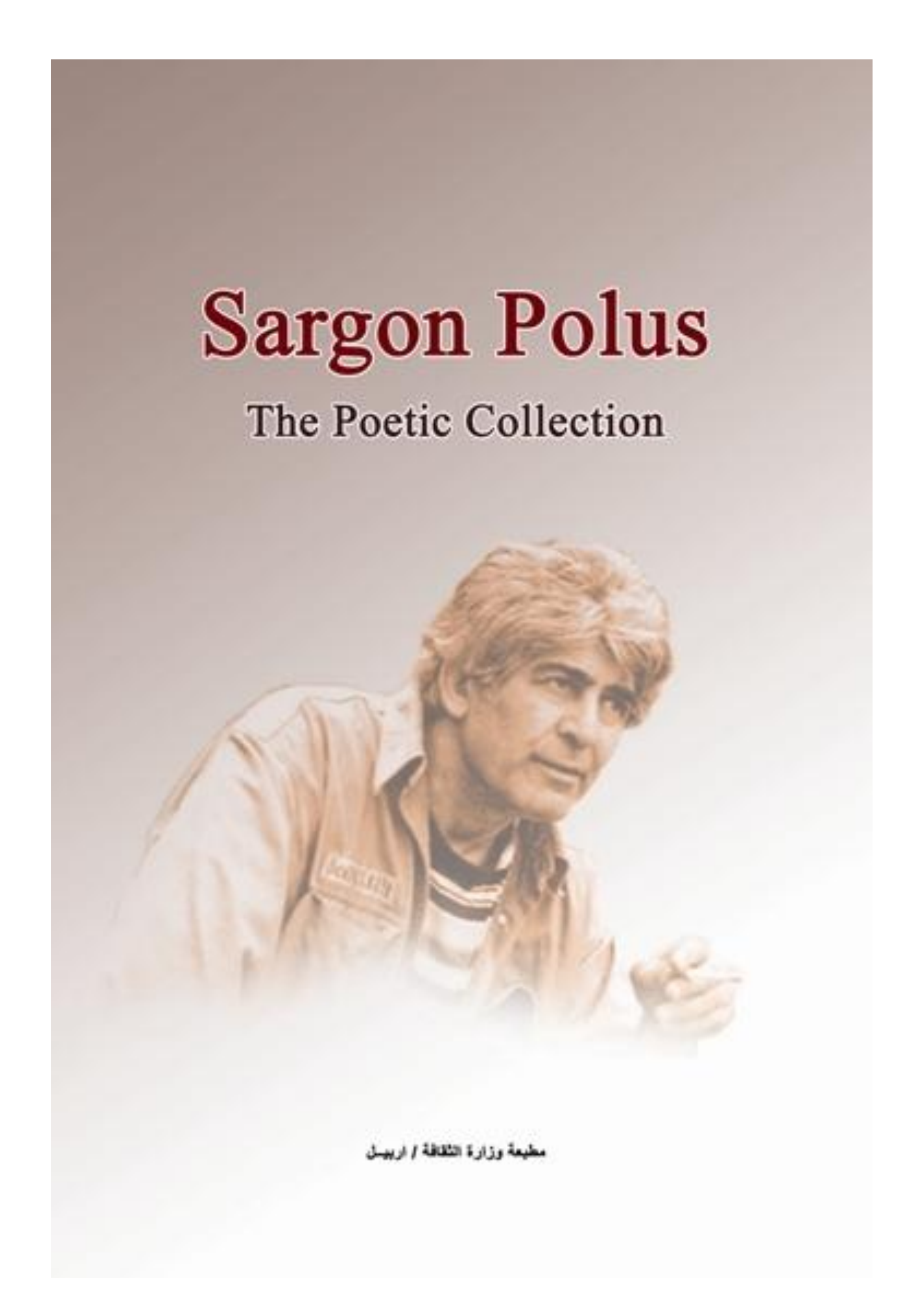
بينما الظلالُ تطولُ على حافة الطريق

حيث يركعُ عابرُ السبيل قرب متاعهِ

لمعجزة النهار الذي يغيبُ

والليل اذا سَجى.

فهرس الجزء الاول


Sargon Polus
The Poetic Collection
مطبعة وزارة الثقافة / اربيـل